

تأليف

العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني

تفسير

فاتحة الكتاب



كُنْ أَرْسَلُونِي

موسسة البکال

تفسير فاتحة الكتاب

تفسير فاتحة الكتاب

تأليف

الشيخ المظاہر والمحدث آية الله المجاهد
الشيخ عبد الحسين الموسوي النجفي قدس سره

تحقيقه وعلقوه

العلامة الشيخ رضا عبد الحسين الأميني النجفي رحمه الله

مؤسسة البلاغ

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

مؤسسة البلاغ

للطباعة والنشر والتوزيع



بئر العبد - مدخل مدرسة حارة حريك الرسمية الثانية - بناية فوعاني - الطابق الأول
ص.ب. ١١ - ٧٩٥٢ بيروت ١١٠٧ - هاتف: (٠٣/٥١٤٩٠٥) - فاكس: ٠١/٥٥٣١١٩ - لبنان

الموقع الإلكتروني : www.albalagh-est.com

E-mail : Albalagh-est@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

صدق الله العلي العظيم

الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي شيخ الحفاظ والمحدثين (قده)

* من أعلام الإسلام الذين نذروا حياتهم وضَّحَّوا بأنفسهم وكرَّسوا
جُلَّ طاقاتهم في سبيل إعلاء كلمة الدين ونشر الإسلام وخدمة الصالح
العام.

* ولد في مدينة تبريز في إيران وهاجر الى النجف الاشرف عام
١٣٣٦هـ جرية.

* عمل على توسعة دائرة تبليغ المذهب الشيعي ونشر معارف
الإسلام إلى العالم من أقصاه إلى أقصاه والسير بالمسلمين نحو الرقي
والكمال.

* انطلاقاً من إحساسه بمسؤوليته الدينية تجاه نحلته وأمته، انصرف
إلى التأليف الديني والمطالعة والتحقيق والوعظ والإرشاد، ولم يفتر
لحظة عن ذلك.

* ترك رحمته ثروة علمية ضخمة من التأليف والتحقيق في شتى
الحقول والمواضيع الإسلامية من التفسير والحديث والتاريخ والعقائد وما
إلى ذلك.

* من كتبه التي خلفها لنا:

الغدير: وهو سفر كبير خالد لم تنجز طباعة كل أجزائه ويحتوي بحوثاً تحليلية مسهبة ودراسات وافية لطائفة من الآيات الكريمة النازلة في العترة الطاهرة.

دراسات قرآنية في تفسير جملة من الآيات الكريمة مفادها ومنطوقها. كتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْنَا أَثْنَيْنِ﴾^(١).

كتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٢).

كتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾^(٣).

كتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٤).

كتاب «تفسير فاتحة الكتاب» وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا، حيث يُعدُّ باكورة تصانيعه وأول خطواته في التأليف. ومن تأليفه الأخرى هي:

* أدب الزائر لمن يَمُّ الحائر.

* شهداء الفضيلة.

* سيرتنا وسنتنا.

* تعليق على كتاب كامل الزيارات

* تعليق على الرسائل والمكاسب للشيخ الأنصاري

* عمل على تأسيس مكتبة إسلامية كبرى في النجف الأشرف تضمُّ

كلَّ ما يمكن أن يحتاجه الباحث من مراجع تساعده في إنجاز أبحاثه

(١) سورة غافر/ الآية ١١/ .

(٢) سورة الأعراف/ الآية ١٧٢/ .

(٣) سورة الواقعة/ الآية ٧/ .

(٤) سورة الأعراف/ الآية ١٨٠/ .

ومؤلفاته بأفضل الطرق وأقصر توقيت وأجود استقصاء، وقد قدّمت هذه المكتبة حتى الآن خدمات علمية وثقافية كبرى لروادها من المفكرين والباحثين العرب والأجانب، حيث يستفيد منها سنوياً ما يعادل ستة عشر ألف شخص.

* توفي الشيخ عبد الحسين الأميني رَحِمَهُ اللهُ عام ١٣٩٠هـ وتركت وفاته لدى تلامذته وقرائه ومريديه حزناً عميقاً، وخلفه في الأمانة العامة للمكتبة ابنه الشيخ رضا الأميني النجفي الذي سار على خطوات أبيه وتابع نضاله الديني ومشروعه العلمي المقدّس بهمة واقتدار.

العلامة الشيخ رضا عبد الحسين الأميني النجفي رَحِمَهُ اللهُ

* ولد الشيخ رضا عبد الحسين الأميني النجفي رَحِمَهُ اللهُ في بيت طاهر شريف هو بيت والده الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي قَدِيسَهُ اللهُ الذي كرّس جهوده في حياته الطاهرة للبحث في علوم القرآن الكريم والتأليف فيها وفي شرح سور وآيات القرآن الكريم بالشكل الذي يثقف طائفته وأبناء الدين الإسلامي ثقافة دينية واسعة إلى درجة مكنته من تأسيس مكتبة إسلامية كبرى في النجف الأشرف أصبح ولده الشيخ رضا رَحِمَهُ اللهُ أميناً عاماً لها فيما بعد.

* لقد نشأ الشيخ رضا الأميني النجفي نشأة دينية على يدي والده الذي لم يخل بتعليمه وثقيفه وتقديم كل ما يحتاجه ليصير علامة كبيراً هو أيضاً، فانصرف بكلّيته إلى علوم الدين المختلفة فأتقنها إتقاناً جيداً، حتى صار قادراً على المحاضرة فيها بفكر متعمق باحث. وعمل في مكتبة النجف الأشرف الذي أسسها والده، حتى استطاع أن يكون أمينها العام بما لديه من فكر تنظيمي متطور.

بين يدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن بوسع أي عالم أو باحث في التعريف
بكتاب الله العزيز أن يفهم حقه في البحث عن أية
ناحية من نواحيه، وإن أوتي من البيان قسطه الأوفى،
ومن العلوم حظه الأوفر.

إنّ كنه كلام المولى جلّ اسمه لا يقف عليه وعلى أسرارهِ إلا من
ارتضاه واختصه وانتجاه من بريته، فالعقول المحددة المقيّدة لم يتأت لها
خوض غمار ذلك البحر الخضمّ، ودرك رموز تلك المعجزة الخالدة، وما
اشتملت عليه من أسرار هذه الحياة الدنيا من حين نشأتها حتى نهايتها.
إن كتاب الله الكريم ببلاغة بيانه وفصاحة أسلوبه حيّر عقول البلغاء
وفطاحل اللغة:

﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ
بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾^(١).

وبما حوى من المعارف، والعلوم، والأسرار الكونية أثبت أنه كلام الله الذي لا يبلى مع الجديدين، وأنه أجل من أن يحيط بكنهه وصف الواصفين، والاعتراف بالعجز بين يدي:

﴿الرَّكَنُ أَحْكَمُ آيَةٍ ثُمَّ فَصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾^(١).

خير من ولوج معترك سفر تتصاغر

دون عظمتهم النوابع والفتاحل

إن إعجاز القرآن لم يقف عند هذا الحد! بل كل ناحية من نواحيه معجزة في ذاتها.

فدساتيره العقائدية، وقوانينه التشريعية، وأنظمته الرصينة تحقق للبشرية أبلغ ما تتطلع إليه من سعادة في تدبير شؤون الحياة.

فكما أنه كتاب توحيد وإيمان... وكتاب تشريع وسنن.. وكتاب تأمل وعبادات.. وكتاب بلاغة وأدب.. فهو قبل كل ذلك كتاب جمع فأوعى، فيه تبيان كل شيء ﴿وَهْدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٢)، ففيه أصول كل العلوم، وفيه الحكمة والموعظة الحسنة، وفيه كل ما يتطلبه ويحتاج إليه الإنسان في نشأته: الدنيوية والأخروية.

ويصف أمير المؤمنين (سلام الله عليه) كتاب الله الكريم في خطبة بليغة يقول فيها:

«ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحُه، وسراجاً لا يخبو توقُّدُه، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه، وفرقناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاءً لا تخشى أسقامه، وعزاً لا

(١) سورة هود/ الآية ١.

(٢) سورة النحل/ الآية ٨٩.

تهزم أنصاره، وحقاً لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام وبنياه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله رياً لعطش العلماء، وريعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجٍ لطرق الصلحاء، ودواءٍ ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلأ وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلمأ لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاج به، وحاملاً لمن حملة، ومطيئةً لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجنة لمن استلأم، وعلمأ لمن وعى وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى»^(١).

وقد وهب الله غوامض أسرار كتابه السماوي، وخفايا آياته البينات مما لم يُظهر عليه أحداً من عباده إلى خاتم رسله ﷺ.

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(٢).

وقد أودع النبي ﷺ كل ذلك أوصيائه وخلفاءه من بعده الذين قرن الله طاعتهم بطاعته، وموالاتهم بموالاته، فهم الذين تدبروا عنه رسالة ربه، وغاصوا بحار اليقين، وبلغوا من العلوم والمعارف الإلهية ذروة الكمال، على بصيرة من أمرهم، وهدى من ربهم بأوفى وأتم مراتبه

(١) نهج البلاغة ج ٣: ٦٩ - ٧٠.

(٢) سورة الجن/ الآية ٢٦-٢٧.

ومدارجه وراثه عن النبي الأعظم ﷺ فكان أمير المؤمنين عليه السلام أول من تكلم في تفسير القرآن من أصحاب رسول الله وهو أعلم المسلمين بكتاب الله وتأويله بلا منازع.

روى ابن مسعود قال: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإن علياً عنده علم الظاهر والباطن»^(١).

وقال السيد أحمد زيني دحلان في الفتوحات الإسلامية:

«كان علي عليه السلام أعطاه الله علماً كثيراً، وكشفاً غزيراً، قال أبو الطفيل: شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني من كتاب الله فوالله مامن آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل، ولو شئت أوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب.

وقال ابن عباس عليه السلام: علم رسول الله من علم الله تبارك وتعالى وعلم علي عليه السلام من علم النبي ﷺ وعلمي من علم علي عليه السلام وما علمي وعلم أصحاب محمد ﷺ في علم علي عليه السلام إلا كقطرة في سبعة أبحر. ويقال: إن عبد الله بن عباس أكثر البكاء على علي عليه السلام حتى ذهب بصره.

وقال ابن عباس أيضاً: «لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارك الناس في العشر العاشر»^(٢).

والعتره الهادية أعلم الناس بأسرار كتاب الله الحكيم بعد جدّهم الطاهر وأبيهم سلام الله عليه، فهم منار الهدى، وينابيع الإيمان واليقين،

(١) الغدير ج ٢: ٣٥. وج ٣: ٩٩.

(٢) الغدير ج ٢: ٢٥.

وبيوتهم مهبط وحي الله المبين.

ولجلالة كتاب الله، وعلو قدره، ورفعة منزلته اهتم علماء المسلمين في تفسيره، وبيان علومه، وكشف أسرارهِ، وركنوا في ذلك إلى ما أثر عن النبي الأعظم ﷺ وعترته الهادين، للنهي الصادر عنهم عن التفسير بالرأي.

فكل من فسّر القرآن بأسره، أو اهتم ببعض سورهِ وآياته، أو بحث في علومهِ وأسراره لم ير بدأً في ذلك من اللجوء إلى ما روي عن رسول الله ﷺ وما أثر عن عليٍّ عليه السلام وأولاده الميامين.

وقد بذل جمع من علمائنا الفطاحل في مختلف العصور عناية خاصة بتفسير سورة الفاتحة، وكشف شيء من غوامضها وأسرارها، وبيان ما اشتملت عليه من العلوم العقلية والنقلية، وأفردوا لها تفسيراً لجامعيّتها ولأنها أم القرآن وأساسه.

ومن تلك الصفوة الخيرة، والسلف الصالح، شيخ الحفاظ والمحدثين شيخنا الوالد الأمين (طاب ثراه) فهو من أعلام الإسلام الذين نذروا حياتهم، وضحوا بأنفسهم، وكرسوا جلّ طاقاتهم في سبيل إعلاء كلمة الدين، ونشر الإسلام، وخدمة الصالح العام، غير عابئين بالراحة والاستقرار، واستطاعوا بمثل هذا التفاني والجهاد في خدمة المذهب توسعة دائرة التبليغ الديني، ونشر معارف الإسلام إلى العالم من أقصاه إلى أقصاه، والسير بالمسلمين نحو الرقي والكمال.

ولم يكن شيخنا الوالد رحمه الله يحس بخطورة أمر في الحياة أكثر من المسؤولية الدينية تجاه نحلته وأمتهِ، لذلك لم يفتر لحظة من ساعاته عن

وقد ترك رحمته ثروة علمية ضخمة من التأليف والتحقيق في شتى الحقول والمواضيع الإسلامية من التفسير، والحديث، والتاريخ والعقائد إلى غير ذلك، ومن بينها كتابه هذا «تفسير فاتحة الكتاب» فهو وإن صغر حجمه إلا أن مؤلفه رحمته أودع فيه بحثاً هاماً، وجعله في فصلين: تطرق في الأول إلى تفسير السورة، وفي الثاني إلى تحليلها وبيان شيء من دقائقها، وتوضيح ما يستفاد من آياتها الكريمة في التوحيد والقضاء والقدر والجبر والتفويض، مستفيداً كل ذلك مما روي عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم وعثرته الغر الميامين.

ولشيخنا الوالد طاب رمسه دراسات قرآنية في تفسير وتوضيح جملة من الآيات الكريمة والكلام حول مفادها ومنطوقها، وبيان شأن نزولها. غير أن انصرافه إلى سفره الخالد «الغدير» لم يدع له مجالا لطبع آثاره هذه ونشرها، فمن تصانيفه في التفسير كتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنِي وَأَحْيَيْتَنَا أَتُنْتِنِي فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ

مِّن سَبِيلٍ ﴿١﴾.

وكتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (٢).

وكتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٣).

وكتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤).

وفي الأجزاء المطبوعة والمخطوطة من كتاب «الغدير» بحوث تحليلية مسهبة، ودراسات وافيه لطائفة من الآيات الكريمة النازلة في العترة الطاهرة وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٥).

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٦).

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (٧).

(١) سورة غافر/ الآية ١١/.

(٢) سورة الأعراف/ الآية ١٧٢/.

(٣) سورة الواقعة/ الآية ٧/.

(٤) سورة الأعراف/ الآية ١٨٠/.

(٥) سورة المائدة/ الآية ٦٧/.

(٦) سورة المائدة/ الآية ٣/.

(٧) سورة المعارج/ الآية ١/.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ قَوِيلٌ لِّلْقَاسِيَةِ
 قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْ لَتَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١).
 ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٢).
 ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِٖ وَيَا الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).
 ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).
 ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ
 وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^(٥).
 ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
 رَاكِعُونَ﴾^(٦).
 ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ﴾^(٧).
 ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٨).
 ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَّجْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٩).

(١) سورة الزمر/ الآية ٢٢ .

(٢) سورة السجدة/ الآية ١٨ .

(٣) سورة الانفال/ الآية ٦٢ .

(٤) سورة الانفال/ الآية ٦٤ .

(٥) سورة الاحزاب/ الآية ٢٣ .

(٦) سورة المائدة/ الآية ٥٥ .

(٧) سورة التوبة/ الآية ١٩ .

(٨) سورة مريم/ الآية ٩٦ .

(٩) سورة الجاثية/ الآية ٢١ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(١).
 ﴿وَالْعَصْرِ﴾^(٢) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٣).
 ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٤).
 ﴿وَعَلَى الْآعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ﴾^(٥).
 ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٥).

إلى عشرات عدة من الآيات الكريمة النازلة في مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وعترته الطاهرين، مدعمة بالأحاديث النبوية الشريفة. وكان في نيّة شيخنا الوالد رحمته الله أفراد مؤلف لهذه الآيات وقد جمع الكثير منها في مجموعة خاصة أسماها «الآيات النازلة في العترة الطاهرة» إلا أنه وبعد أن تصدى في الجزء الرابع عشر من سفره الخالد «الغدير» إلى تصحيح أسانيد ما أثر من المناقب عن رسول الله ﷺ في عترته الهادين في بحث «مسند المناقب ومرسلها» دمج بحوث تلك الآيات في ذلك واستغنى عن تصنيف كتاب مستقل فيه.

وهذا التفسير «فاتحة الكتاب» هو باكورة تصانيف شيخنا الوالد (طاب ثراه) وأولى خطواته في التأليف، لذلك كان يرى من الضروري إعادة النظر فيه لتهذيبه وتنقيحه والتبسط في بحوثه وفصوله، وإعطاء البحث

(١) سورة البينة/ الآية ٧/ .

(٢) سورة العصر.

(٣) سورة الشورى/ الآية ٢٣/ .

(٤) سورة الأعراف/ الآية ٤٦/ .

(٥) سورة الإنسان/ الآية ١/ .

حقه في شتى نواحيه، والتوسع في مصادره، وتطوير بيانه.
إلا أن انهماكه وانكبابه ليل نهار على بحوث سفره الخالد «الغدير»
ومسؤولياته تجاه مكتبته العامة العالمية لم يدع له مجالاً للمبادرة إلى
تحقيق سائر أمانيه وآماله.

و«مكتبة الامام أمير المؤمنين عليه السلام العامة في النجف الأشرف» هي
من حسنات الدهر ومآثر شيخنا الوالد: الأمين طاب ثراه.
فهو رحمته الله خلال نهضته العلمية، وخوضه ميدان التأليف والتحقيق
وقف على ما كان يعانيه المؤلف والمحقق في جامعة النجف الأشرف من
عناء دون الحصول على بغيته من المصادر المطبوعة والمخطوطة الخاصة
ببحثه ودراسته.

إن ميسر حاجة جامعتنا الإسلامية الكبرى (النجف الأشرف) إلى
مكتبة عامة تضم كل ما يتطلبه الباحث والمؤلف من مصادر ووسائل
الراحة والاستقرار في سبيل هدفه السامي، وتحقيق رسالته الخالدة دعت
شيخنا الأمين إلى أن يشمر عن ساعد الجد بإنشاء هذه المكتبة العامة
التي هي من أياديه البيضاء، ومساعيه المشكورة، وحسناته الخالدة في
تطوير الحركة العلمية، ورفع المستوى الثقافي لتلك المدينة المقدسة.
وستبقى هذه الخدمة الثقافية خالدة على مر العصور، وسيسجل التاريخ
بمداد من نور لمؤسسها - المجاهد الأمين - أجمل آيات الشكر والتقدير
لهذه الخطوة الإصلاحية ولما هيا في ذلك الصرح الإسلامي من وسائل
في تطوير الحركة العلمية، والنهوض بالنشاط الفكري، وسدّ حاجة
العلماء والمثقفين والباحثين من المصادر الإسلامية.

إن المكتبة قد - أسدت منذ تأسيسها حتى حين - خدمات علمية وثقافية كبرى للملأ الثقافي، واستطاعت بسعي مؤسسها وباني كيائها، وبجهود القائمين على إدارتها تمهيد الجو الملائم لمطالعة ٤٥٨٠٠ شخصاً - عشرة أشهر في كل عام - من الواردين إليها للمطالعة من العراق والبلاد العربية الإسلامية، واقتنت خلال أعوام قصيرة كمية ضخمة من المصادر المطبوعة والمخطوطة في شتى العلوم والفنون وبمختلف اللغات، كما صوّرت مكتبة من المخطوطات الفريدة النفيسة من كتب المكتبات العامة في البلاد الإسلامية وغيرها على أشربة المايكروفلم، ونقلت جملة وافية منها على الورق الخاص (المخّسس) وجعلتها في متناول أيدي المراجعين والباحثين.

وإلى جانب هذه الخدمات أهدت المكتبة أكثر من ثلاثة آلاف مجلد من المطبوعات العلمية إلى المكتبات العامة، والمجامع الثقافية في العالم.

إن أسرة تولية مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام القاطنين في طهران رأت من الضروري تأسيس فرع للمكتبة بطهران عاصمة الدولة الشيعية تخليداً لذكرى مؤسس هذا الصرح العلمي، ولتحقيق أهدافه والسير على خطاه في سبيل الدعوة الدينية، ونشر التراث العلمي لسلفنا الصالح وفي مقدمها تأليف شيخنا الراحل بطل الجهاد الديني: الأميني رحمته الله (المخطوطة والمطبوعة) وتعميم الاستفادة منها في أرجاء المعمورة.

وتحقيقاً لجزء من هذا الهدف السامي ارتأت إصدار سلسلة تضم بحوثاً ودراسات علمية في التفسير، والحديث، والتاريخ، والعقائد،

بقلم كبار المؤلفين والباحثين من علماء الإسلام الفطاحل معنونة بـ
«ذخائر الفكر الإسلامي» وتيمناً بذكر كتاب الله الكريم جعلت العدد الأول
من السلسلة المذكورة هذا الأثر الخالد «تفسير فاتحة الكتاب».
ومن الله نستمد العون والتوفيق في إدامة هذا النضال الديني وإقامة
هذا المشروع العلمي المقدس.
والله من وراء القصد وإليه السبيل.

الأمين العام للمكتبة
رضا الأميني النجفي

الفصل الأول

تفسير السورة

أسماء السورة وجامعية السورة للعلوم
القرآنية. النواحي المشتركة بين الفاتحة
والقرآن. الاستشفاء بالفاتحة.

في الأمل بغير الله.

وفي الرياء والسمعة.

وفي الحقد والحسد.

وفي الشح والبخل.

وفي الجبن والأمل.

أسماء السورة وجامعية السورة للعلوم

هذه السورة الكريمة تسمى بأسماء تعرب عن
فوائد جمة لا يستهان بها، منها:

«المثاني»: كما فيما رواه العياشي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
«إذا كانت لك حاجة فاقراً «المثاني» وسورة أخرى، وصل ركعتين، وادع
الله قلت: أصلحك الله وما المثاني؟ قال: فاتحة الكتاب». الحديث^(١)

و: «السبع المثاني»: كما وردت في غير واحد من الأخبار^(٢).
وقد سماها المولى سبحانه بهذا الاسم في كتابه بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ
سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(٣).

وهذه الآية تقرئنا دروساً عالية في جامعية هذه السورة لكليات ما
يوجد في الكتاب الكريم من المعارف الإلهية، والعلوم الدينية، وتعرب
عن أنها صورة مصغرة للقرآن وهي مجملة وهو يفصلها، ولذلك قابل

(١) تفسير العياشي ج ١: ٢٢ ط - قم: ١٣٨٠ هـ.

(٢) روى الصدوق في عيون أخبار الرضا ج ١: ٣٠٠، قال: «قيل لأمر المؤمنين عليه السلام: يا
أمر المؤمنين أخبرنا عن «بسم الله الرحمن الرحيم» أهى من فاتحة الكتاب؟ فقال: نعم،
كان رسول الله ﷺ يقرؤها ويعدّها آية منها، ويقول: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني».
وفي هذا المعنى احاديث أخرى أوردناها في الفصل الثالث، التعليقة رقم ١.

(٣) سورة الحجر/ الآية ٨٧/ .

بينهما وجعل الامتنان بها على النبي الأعظم قرين الامتنان بالقرآن العظيم، كما نص به رسول الله ﷺ في حديث ورد في شأن الآية الشريفة قال ﷺ: «فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب، وجعلها بأزاء القرآن العظيم»^(١)، فهذا الأفراد يوعز إلى جامعية السورة، كما يعرب عنها تسميتها بـ:

«أم الكتاب»: كما في حديث العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام^(٢) وفي حديث آخر في ثواب الأعمال عنه عليه السلام^(٣) وفي ثالث رواه علي بن إبراهيم في تفسيره عنه أيضاً^(٤) وكذلك تسميتها بـ:

«أم القرآن»: كما في رواية علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبي عبد الله عليه السلام^(٥) وذلك أن أم الشيء هو جامعها والاصل الذي يتفرع منه، كما يقال لمكة أم القرى، لدحو الأرض من تحتها، وللجلدة الجامعة لأجزاء الدماغ أم الرأس، وللنار المحيطة على العصاة أم الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾^(٦) فيظهر من هذه كلها أن في هذه السورة دروساً عالية من المعارف الإلهية، وعلوماً جمة مما يفصله القرآن العظيم، وهي فذلكة ذلك التفصيل ويوجد فيها ما أودع الله في كتابه الذي فيه تبيان كل شيء.

وهذا سر ما ورد في الحديث النبوي على المحدث به وآله الصلاة

(١) راجع تمام الحديث في الفصل الثالث، التعليقة رقم-٢.

(٢) راجع ألفاظ أحاديثها في الفصل الثالث، التعليقة رقم-٣.

(٣) راجع ألفاظ أحاديثها في الفصل الثالث، التعليقة رقم-٣.

(٤) راجع ألفاظ أحاديثها في الفصل الثالث، التعليقة رقم-٣.

(٥) لم نقف على الحديث في تفسير القمي، وقد أوردنا جملة مما أثر عن المعصومين عليه السلام.

وسمى فيها فاتحة الكتاب بـ«أم القرآن» في الفصل الثالث، التعليقة رقم-٤.

(٦) سورة القارة/ الآية ٩/.

والسلام من قوله: «أيما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أُعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن»^(١).

وفي الخصال، عنه عليه السلام: «من قرأ فاتحة الكتاب أعطاه الله عَزَّ وَجَلَّ بعدد كل آية أنزلت من السماء ثواب تلاوتها»^(٢).

وجامعية هذه السورة تقرر معاني شتى ووجوها مختلفة، فمنها:
أولاً: إن الكتاب الكريم إنما يحتوي بكُلِّه علوماً من وجوه ثلاثة من حيث المبدأ، والمعاد والوسط بينهما، وهذه السورة تجمع هذه النواحي الثلاث كما تحتوي أوجه العلوم بأسرها، فقوله تعالى:
﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾

قال العسكري سلام الله عليه: «أي أستعين على أموري كلها بالله الذي لا تحق العبادة إلا له، المغيث إذا استُغيث، والمجيب إذا دُعي، والله» هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع من دونه، وتقطع الأسباب من كل من سواه». وقوله:
﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

فيه إيعاز إلى أن النعم المبتوثة في النشاطين، العاجلة، والآجلة كلها منه تعالى، وله الرحمة العامة في الدنيا، والخاصة في الدار الآخرة.

(١) روى المجلسي في البحار ج ٩٢: ٢٥٩ قال: «وذكر الشيخ أبو الحسن المقرئ في كتابه في القراءات، عن أبي بكر أحمد بن إبراهيم، وعبد الله بن محمد، عن إبراهيم ابن شريك، عن أحمد بن يونس، عن سلام بن سليمان، عن هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: أيما مسلم قرأ فاتحة الكتاب، أُعطي من الأجر كأنما قرأ ثلثي القرآن، وأُعطي من الأجر كأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة.

وروى من طريق آخر هذا الخبر بعينه إلا أنه قال: «كأنما قرأ القرآن».

(٢) رواه الشيخ المجلسي في البحار ج ٩٢: ٢٥٨، عن «جامع الأخبار» وفيه «...أنزلت من السماء، فيجزى بها ثوابها».

روي أن ﴿الرَّحْمَنَ﴾ هو العاطف على خلقه بالرزق، ولا يقطع عنهم مواد رزقه وإن انقطعوا عن طاعته، و﴿الرَّحِيمَ﴾ بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعته، وعباده الكافرين في الرفق بهم في دعائهم إلى موافقته.

قال الإمام العسكري عليه السلام ﴿الرَّحْمَنَ﴾ هو العاطف على خلقه بالرزق قال: ومن رحمته أنه لما سلب الطفل قوة النهوض والتغذي جعل تلك القوة في أمه، ورفقها عليه لتقوم بتربيته، وحضانتها، فإن قُسي قلب أم من الأمهات أوجب تربية هذا الطفل على سائر المؤمنين، ولما سلب بعض الحيوانات قوة التربية لأولادها، والقيام بمصالحها، جعل تلك القوة في الأولاد لتنهض حين تولد وتسير إلى رزقها المسبب لها).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : «رحيم بعباده المؤمنين، ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة وجعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم، فيها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحنو الأمهات من الحيوانات على كل أولادها، فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسعة وتسعين رحمة فيرحم بها أمة محمد، ثم يشفعهم فيمن يحبون له الشفاعة من أهل الملة»^(١).

وعنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَسَمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيْمَ﴾ إن قولك «الله» أعظم الاسماء من اسماء الله، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يُسمّى به غير الله، ولم يتسم به مخلوق.

فقال الرجل: فما تفسير قوله «الله»؟

قال: هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق، عند

(١) هذه الجمل من تفسير الامام العسكري عليه السلام. وقد أكثر النقل عنه شيخنا الوالد رحمته الله طي بحثه، ولما فيه من فوائد وفرائد أثرتنا نقل ما يخص بتفسير فاتحة الكتاب بنصه في الفصل الثالث، التعليقة ٥- فراجع.

انقطاع الرجاء من جميع من هو دونه، وتقطع الأسباب من كل من سواه. وذلك أن كل مترئس في هذه الدنيا، ومتعظم فيها وإن عظم غناؤه وطغيانه، إذا كثرت حوائج من دونه إليه، فإنهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعظم، وكذلك هذا المتعظم يحتاج حوائج لا يقدر عليها، فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته، حتى إذا كُفي همّه عاد إلى شركه، أما تسمع الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ ^(١) فقال الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده: أيها الفقراء إلى رحمتي إني قد الزمتكم الحاجة إلي في كل حال، وذلة العبودية في كل وقت، فإلّي فافزعوا في كل أمر تأخذون فيه، وترجون تمامه، وبلوغ غايته، فإني إن أردت أن أعطيك لم يقدر غيري على منعكم، وإن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري على إعطائكم، فأنا أحق من سئل، وأولى من تُضَرَّع إليه، فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير أو عظيم: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي أستعين على هذا الأمر بالله الذي لا تحق العبادة لغيره، المغيث إذا استغيث، المجيب إذا دعي، الرحمن الذي يرحم ببسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أدياننا، ودنيانا، وآخرتنا، خفف الله علينا الدين وجعله سهلاً خفيفاً وهو يرحمنا بتمييزنا عن أعدائه» الحديث ^(٢)، وقوله تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

فيه إيعاز إلى أن جميع ما في العالمين ينتهي إلى الله تعالى من حيث مبدئه، وهو يرّبه، ويدير شؤونه في جميع عوالمه، وهو المنعم على

(١) سورة الأنعام / الآية ٤٠-٤١ / .

(٢) التوحيد ص ٢٣١-٢٣٢، بحار الأنوار ج ٢: ٢٣٢.

الكل.

روي عن السجاد عليه السلام : « أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن قوله يُؤْتِي : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ما تفسيره؟ فقال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ هو أن عرّف الله عباده بعض نعمه عليهم جملاً، إذ لا يقدرّون على معرفة جميعها بالتفصيل، لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف فقال لهم: قولوا: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على ما أنعم به علينا ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يعني مالك العالمين، وهم الجماعات من كل مخلوق، من الجمادات والحيوانات. فأما الحيوانات فهو يقبّلها في قدرته، ويغذوها من رزقه ويحوطها [يحفظها] بكنفه، ويدبّر كلاً منها بمصلحته، وأما الجمادات فهو يمسكها بقدرته، يمسك ما اتصل منها أن يتهافت، ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويمسك الأرض أن تنخسف إلا بأمره، إنه بعباده لرؤوف رحيم».

وقال عليه السلام : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ مالكهم وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم، من حيث هم يعلمون، ومن حيث لا يعلمون، فالرزق معلوم مقسوم، وهو يأتي ابن آدم على أي سيرة سارها من الدنيا، ليس تقوى متّق بزائده، ولا فجور فاجر بناقصه، وبينه وبينه ستر، وهو طالبه، ولو أن أحداكم يتربص رزقه لطلبه رزقه، كما يطلبه الموت^(١). وقوله تعالى:

﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾

استعطف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه على التفصيل الذي أسلفناه وقوله تعالى:

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾

(١) جزء من تفسير الإمام العسكري عليه السلام، راجع الفصل الثالث التعليقة-٥.

اقرار له بالبعث، والحساب، والمجازاة، وإيجاب ملك الآخرة للمولى سبحانه، كإيجاب ملك الدنيا.

وفي الحديث: «أي قادر على إقامة يوم الدين، وهو يوم الحساب، قادر على تقديمه عن وقته، وتأخيريه بعد وقته، وهو المالك أيضاً في يوم الدين، فهو يقضي بالحق، لا يملك الحكم والقضاء في ذلك اليوم من يظلم ويجور كما يجور في الدنيا من يملك الأحكام»^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الديلمي: «أما قوله: مالك يوم الدين: فإنه يملك نواصي الخلق يوم القيامة، وكل من كان في الدنيا شاكاً أو جباراً أدخله النار، ولا يمتنع من عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ شاكٌ ولا جبار، وكل من كان في الدنيا طائعاً مديماً حافظاً إياه أدخله الجنة برحمته»^(٢). وأما قوله تعالى:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

ففي الحديث: «قال الله تعالى: قولوا يا أيها الخلق المنعم عليهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أيها المنعم علينا، نطيعك مخلصين مع التذلل والخضوع، بلارياء ولا سمعة».

﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: منك نسأل المعونة على طاعتك لنؤديها كما أمرت، ونتقي من دنيانا ما عنه نهيت، ونعتصم من الشيطان الرجيم، ومن سائر مردة الجن والإنس من المضلين، ومن المؤذين الظالمين، بعصمتك»^(٣).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله عَزَّ وَجَلَّ قولوا: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

(١) جزء من تفسير الإمام العسكري عليه السلام، راجع الفصل الثالث التعليقة-٥.

(٢) جزء مما كتبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى ملك الروم حين سأله عن تفسير فاتحة الكتاب، راجع تمام الحديث في الفصل الثالث التعليقة-٦.

(٣) تفسير الإمام العسكري، راجع الفصل الثالث، التعليقة-٥.

على طاعتك وعبادتك، وعلى دفع شرور أعدائك، ورد مكائدهم، والمُقام على ما أمرتنا به»^(١).

أقول: لما بين المولى سبحانه وتعالى في الآيات الأولى ما يهيم من معرفة المبدأ والمعاد، وأعلم العباد بأنه هو رب العالمين، وإليه مصير كل شيء، وله الملك في النشأتين، والرحمة والنعمة في العاجل والآجل وبذلك استحق الحمد والثناء عليه، وعلى العالمين أن تخضع له الرقاب ولتضع عليها نير المذلة بالعبودية، فأراد بيان المذهب الحق في أفعال العباد من حيث الجبر والتفويض، فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مشيراً إلى أن أفعال العباد مخلوقة لهم بحول وقوة منه تعالى، وأن العبودية المطلوبة للمولى سبحانه وتعالى، إنما هي العبادة الخالصة الصادرة من العباد بإرادتهم واختيارهم، مستعيناً من الله على طاعته، وتأدية فروضه، واستكمال سنته، وهذا معنى الأمر بين الأمرين المستفاد من نفي الجبر بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ونفي التفويض بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وبهذه الآية الشريفة استدلل الامام أبو عبد الله عليه السلام على القدري كما ورد في تفسير العياشي بإسناده، عن بعض أصحابنا قال: «بعث عبد الملك بن مروان إلى عامل المدينة أن وجه إلي محمد بن علي بن الحسين^(٢) ولا تهيج ولا تروعه، واقض له حوائجه، وقد كان ورد على عبد الملك رجل من القدرية، فحضر جميع من كان بالشام فأعياهم جميعاً، فقال: ما لهذا إلا محمد بن علي، فكتب إلى صاحب المدينة أن يحمل محمد بن علي إليه، فأتاه صاحب المدينة بكتابه، فقال له أبو

(١) تفسير الإمام العسكري، راجع الفصل الثالث، التعليقة-٥.

(٢) يعني الإمام الباقر عليه السلام.

جعفر عليه السلام : إني شيخ كبير لا أقوى على الخروج، وهذا جعفر ابني يقوم مقامي، فوجهه إليه فلما قدم على الأموي أزره^(١) لصغره، وكره أن يجمع بينه وبين القدري مخافة أن يغلبه، وتسامع الناس بالشام بقدم جعفر لمخاصمة القدري، فلما كان من الغد اجتمع الناس لخصومتهم، فقال الأموي لأبي عبد الله عليه السلام : إنه قد أعيانا أمر هذا القدري وإنما كتبت [إلى أبيك] إليك لأجمع بينك وبينه، فإنه لم يدع عندنا أحداً إلا خصمه، فقال: إن الله يكفيناه، قال: فلما اجتمعوا، قال القدري: لأبي عبد الله عليه السلام سل عما شئت فقال له: اقرأ سورة الحمد، قال: فقرأها وقال الأموي - وأنا معه - ما في سورة الحمد علينا، إن الله وإننا إليه راجعون! قال: فجعل القدري يقرأ سورة الحمد حتى بلغ قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقال له جعفر عليه السلام : قف، من تستعين، وما حاجتك إلى المعونة؟ إن كان الأمر إليك؟ فبهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين^(٢). وأما قوله تعالى:

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

فبعد بيان جوامع العلوم من ناحيتي المبدأ والمعاد، وإيضاح وظيفة العبودية، وتبيين القول الفصل فيها، أشار المولى إلى أعظم المقاصد، ألا وهو الاهتداء بالله تعالى إلى الصراط المستقيم، والسؤال من حضرته الثبات على الهدى، والاسترشاد لدينه، والاعتصام بحبله، واستزادة المعرفة له، والتجنب عن سلوك جادة المغضوب عليهم والضالين، التي سنوقفك على بيانها.

فهذه ناحية من نواحي جامعية الفاتحة الشريفة للعلوم القرآنية.

(١) أزره: عابه ووضع من حقه.

(٢) البحار ج ٩٢: ٢٣٩-٢٤٠، تفسير العياشي ج ١: ٢٣.

وثانياً: ان مهمات المقاصد الشريفة في الكتاب الكريم من المعارف الروحية والدينية يجمعها أصول الدين والمذهب وفروعهما، والفاتحة الشريفة حاوية لمجمل الحقائق، جامعة للأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والنبوة والإمامة والمعاد، دالة على العبودية المؤداة بالفروع، معربة عن المذهب الحق فيها، فهي بقوله تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْكَوَالِمِينَ ۝ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ۝﴾

«تُعرب عن الوجدانية الكبرى، والقيومية الأحديّة الذاتية والربوبية السرمديّة، والسيادة الدائمة الإلهية، والملك الباقي الذي لم يزل ولا يزال، والنعم السابغة الواصلة منه إلى عامة الخلق، والرحمة البالغة الخاصة بالمؤمنين، وقد تتضمن الرحمة لعامة الخلق في الملك والملكوت كمال العدل، وتنبيء عن اتصافه تعالى بأرقى مراتبه وأعلى مدارجه، فهذه جوامع صفات ذاته، وصفات فعله، وهي تدل على المعاد وإياب الخلق إلى الله تعالى، ومصيرهم إليه: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(١).

ثم بعد الإيعاز إلى العبودية الجامعة للفروع، وبيان الاعتقاد الصحيح في أفعال العباد، أمر عباده بالاهتداء بالصراط المستقيم، وهو الطريق الحق المبين، الموصل إلى الله، المنتهي إلى مرضاته، وليس ذلك إلا الطريق الذي يسلكه من له الولاية على العباد، وإنما تتشعب منها باعتبار الحدوث والبقاء: النبوة والإمامة، ويملك أزمّتها النبي الأعظم بالاعتبارين، ووصيته الطاهر بالاعتبار الثاني، ومن اهتدى بهما فقد هدي إلى الله، وأطاع الله ورسوله ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ

اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴿١﴾. فيمكن حينئذ إرادة وجوه ثلاثة من قوله تعالى:

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾:

الأول: اليهود من المغضوب عليهم، والنصارى من الضالين.

الثاني: النصاب من المغضوب عليهم، والشاكين الذين لا يعرفون الإمام من الضالين.

الثالث: إرادة اليهود والنصارى من المغضوب عليهم، وإرادة الناكبين عن أمير المؤمنين عليه السلام

من الضالين. ولكل واحد منها شواهد ودلائل:

أما الوجه الأول:

فروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أمر الله عباده أن يسألوه طريق المنعم عليهم، وهم النبيون والصدّيقون والشهداء والصالحون، وأن يستعينوا من طريق المغضوب عليهم، وهم اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِمَ عَلَيْهِ﴾^(١)، وأن يستعينوا به عن طريق الضالين، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِمَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٢) وهم النصارى» الحديث^(٤).

ويؤيد إرادة اليهود من ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قوله تعالى في سورة

(١) سورة النساء / الآية ٦٩ .

(٢) سورة المائدة / الآية ٦٠ .

(٣) سورة المائدة / الآية ٧٧ .

(٤) راجع تمام الحديث في الفصل الثالث، التعليقة-٥.

المجادلة: ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾^(١) قالوا المراد به قوم من المنافقين كانوا يوالون اليهود ويفشون إليهم أسرار المؤمنين^(٢).
ويؤيده أيضاً قوله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْؤُوكُم بِالْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾^(٣). والمراد منهم اليهود كما نص عليه المفسرون^(٤).
وأما الوجه الثاني:

يدل عليه ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المغضوب عليهم النصاب والضالين الشكاك الذين لا يعرفون الإمام»^(٥).
وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «من تجاوز بأمر المؤمنين عليهم السلام العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين»^(٦).
ويؤيد هذا الوجه، بما ورد في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.
فيما رواه العياشي في تفسير الفاتحة، عن داود بن فرقد، عن أبي عبد

(١) سورة المجادلة / الآية ١٤ .

(٢) مجمع البيان ج ٩: ٢٥٣، تفسير الرازي ج ٢٩: ٣٠٩ .

(٣) سورة الممتحنة / الآية ١٣ .

(٤) راجع تفسير الخازن ج ٤: ٢٨٠، تفسير الكشاف ج ٤: ٩٥، مجمع البيان ج ٩: ٢٧٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ج ٦: ٢١١ وقال: «أخرج ابن اسحاق وابن المنذر، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحارث يوادون رجلاً من يهود فأنزله الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْؤُوكُم بِالْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾. الآية.

(٥) روى علي بن ابراهيم القمي في تفسيره ج ١: ٢٩ قال: «حدثني أبي، عن محمد بن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال: المغضوب عليهم: النصاب والضالين: الشكاك الذين لا يعرفون الإمام». ورواه المجلسي في البحار ج ٩٢: ٢٣٠، والحويزي في تفسير نور الثقلين ج ١: ٢٠.

(٦) راجع الفصل الثالث، التعليقة - ٥.

الله ﷺ قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. يعني أمير المؤمنين ﷺ^(١). وما رواه علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن أبي عبد الله ﷺ في قوله: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قال: هو أمير المؤمنين ﷺ ومعرفته، والدليل على أنه أمير المؤمنين قوله: ﴿وإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا عَلَى حَكِيمٍ﴾^(٢). وهو أمير المؤمنين ﷺ في أم الكتاب وفي قوله: الصراط المستقيم^(٣).

ويعتضد هذا الوجه بغير واحد من الآيات الواردة فيها الصراط المستقيم:

- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^(٤).
 وقوله تعالى: ﴿لَا قُعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٥).
 وقوله تعالى: ﴿وَأِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٦).
 وقوله تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ﴾^(٧).
 وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٨).
 وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٩).
 وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ

(١) تفسير العياشي ج ١: ٢٤، البحار ج ٩٢: ٢٤٠.

(٢) سورة الزخرف / الآية ٤.

(٣) تفسير القمي ج ١: ٢٨، تفسير نور الثقلين ج ١: ١٧.

(٤) سورة الأنعام / الآية ١٥٣.

(٥) سورة الأعراف / الآية ١٦.

(٦) سورة الشورى / الآية ٥٢.

(٧) سورة الحجر / الآية ٤١.

(٨) سورة الزخرف / الآية ٤٣.

(٩) سورة الملك / الآية ٢٢.

مُسْتَقِيمٌ ﴿١﴾.

فان هذه الآيات وردت فيها أحاديث كثيرة بأن المراد من: ﴿الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ﴾ فيها هو أمير المؤمنين عليه السلام ^(١).
وأما الوجه الثالث:

هو إرادة اليهود والنصارى من: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وإرادة المخالفين النصاب والشكك من: ﴿الضَّالِّينَ﴾.

والأول: بقرينة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ، مَجْهُومٌ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ^(٢) وقد فسر المحاجون في الله باليهود والنصارى ^(٣).
والثاني: بقرينة قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ^(٤).

وقد ورد في هذه الآية بطرق العامة والخاصة: إن الضالين هم النفر الذين نالوا من أمير المؤمنين عليه السلام ، وقالوا قد افتتن به محمد عليه السلام فأنزل الله: ﴿تَبَّ وَالْقَلَمِ﴾ ^(٥).

هذه ناحية هامة من جامعية الفاتحة الشريفة لعلوم القرآن الكريم حافلة بمهمات المسائل، ورؤوس المطالب، وهي كما ترى تنم عن دروس عالية مما يوجد في الكتاب، وتعرب عن فصول كثيرة من

(١) سورة يونس / الآية ٢٥ .

(٢) راجع الفصل الثالث، التعليقة-٧.

(٣) سورة الشورى / الآية ١٦ .

(٤) مجمع البيان: ج ٥ / ٢٦ .

(٥) سورة النحل / الآية ١٢٥ .

(٦) سورة القلم / الآية ١ ، والحديث أخرجه الشيخ الطبرسي في مجمع البيان ج ٥:

المعارف الإلهية، ومباحث ضافية من العلوم الراقية الدينية المفصلة
في القرآن العظيم، يحقّ بها أن يمن المولى سبحانه على نبيّه الأعظم
بalfاتحة ويفردها بالذكر.

النواحي المشتركة بينها وبين القرآن الكريم

إن جوامع المعارف الإلهية إنما هي الحمد،
والثناء، على الله، والتمجيد، والعبودية، وكلُّ واحد
منهما يتضمن أمهات العلوم، وأصول الدروس
الدينية، ولا يتم إلا بمعالم جمّة، ومعارف كثيرة لا
يستهان بها.

أما الحمد: فهو فرع معرفة النعم والمنعم، ولا يتأتى إلا بعد
التوحيد، ولا يتم من دون عرفان تفاصيل النعم، والاعتراف بأن جميع ما
يجده العباد من النعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى إنما هو من المولى
سبحانه، وهو كما ترى غاية المبادئ الإلهية، ونتيجة المعارف الدينية،
وفرع الوقوف على الأصول، وآخر دعوى المتألهين، كما قال تعالى:
﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

وأما الثناء: فحده ذكر الممدوح بصفاته وفعاله وجماله وجلاله،
فالثناء على المنعم تعالى يستدعي الاطلاع على صفاته، ويستلزم
الوقوف على أن يصدر من المبدأ الأعلى من فعالة الحسنة، وما أفاضه
لعباده من فضله العميم، ويتضمن معرفة ما يوصف به من رحمة ومنة،

ولطف وعطف، وحنان وعفو، وكرم، وخلق، ورزق وإحياء وإماتة إلى غير ذلك من صفات جلاله وإكرامه.

وأما التمجيد: وهو اقتران شرف الذات بحسن الفعال، فحاجته إلى معرفة صفات الذات وصفات الفعل مما لا يخفى، كما أن الاعتراف بذل العبودية والفقر والفاقة إلى الله والاستعانة به تعالى على النفس في عبادته، والوقوف موقف السائلين، والاهتداء منه تعالى، والاقرار بصراطه المستقيم الذي أنعم الله به على النبيين والمرسلين والشهداء والصالحين. والتباعد عن نهج المغضوب عليهم والضالين يستدعي الإذعان بمقاصد عالية والاعتقاد بمطالب جمة، ويتضمن كثيراً من المسائل الدينية.

فكما أن القرآن يجمع تفاصيل ما تحويه هذه الجوامع الأربع، فكذلك الفاتحة الشريفة تتضمن نماذج هذه الجوامع، فيوجد في طيها ما يوجد فيه.

وهناك ناحية أخرى وهي أن جميع ما في الكتاب الكريم لا يخلو من وجوه ثلاثة:

قسم يختص بالمولى سبحانه: يفصل صفات ذاته أو فعاله، ويبين ما ينتهي إليه من المبدأ والمعاد.

وقسم يرجع إلى العباد خاصة من بيان فروع الدين والتكاليف الشرعية ووظائف العباد، والاهتداء بالله، والتمسك بالولاية، وإطاعة أولي الأمر.

وقسم ثالث يشترك بين الله تعالى وبين عباده، كذلك سورة الفاتحة: ثلث من أولها وهي آيات ثلاث تخص بالمولى سبحانه: تفصل صفاته بقسميها، وثلث من آخرها وهي ثلاث آيات أيضاً ترجع إلى العباد من الدعاء والاهتداء بالله والتمسك بالولاية، والتبري عن المغضوب عليهم والضالين عن طريق الولاية، والناكبين عن الحق، وثلث منها

وهي آية واحدة تشترك بين الله وبين عباده وهي قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وإلى هذا أشير في الحديث النبوي على محدثه وآله الصلاة والسلام قال: «قال الله تعالى قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي. فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) يقول الله: حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يقول الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال العبد: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقول الله: مجدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقول الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخره قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»^(٢).

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله عز وجل جعل فاتحة الكتاب نصفها لنفسه ونصفها لعبده، قال الله تعالى: قَسَمْتُ بيني وبين عبدي هذه السورة، فإذا قال أحدهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فقد حمدني، وإذا قال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فقد عرفني، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ فقد مدحني، وإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فقد أثنى علي، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقد صدق عبدي في عبادتي بعد ما سألتني»^(٣).

وروى شيخ الطائفة في الأمالي، وشيخنا الصدوق في العيون، عن محمد بن القاسم المفسر الاستربادي رحمته الله قال: «حدثنا يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن سيار، عن أبيهما، عن الحسن بن علي، عن أبيه علي بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه الرضا علي بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد،

(١) الفاتحة: ٢

(٢) مجمع البيان ج ١: ١٧، تفسير الفخر الرازي ج ١: ٢٧٠، تفسير ابن كثير ج ١، ١١.

(٣) البحار ج ٩٢: ٢٦.

عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ﻋَزَّوَجَلَّ: قَسَمْتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، فَنَصَفَهَا لِي وَنَصَفَهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: بَدَأَ عَبْدِي بِاسْمِي وَحَقَّ عَلَيَّ أَنْ أَتَمَّ لَهُ أَمُورَهُ، وَأُبَارِكَ لَهُ فِي أَحْوَالِهِ، فَإِذَا قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: حَمَدَنِي عَبْدِي وَعَلِمَ أَنَّ النِّعَمَ الَّتِي لَهُ مِنْ عِنْدِي، وَأَنَّ الْبَلَايَا الَّتِي دُفِعَتْ عَنْهُ فَبَطُولِي، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي أَضِيفُ لَهُ إِلَى نِعَمِ الدُّنْيَا نِعَمَ الْآخِرَةِ، وَأَدْفَعُ عَنْهُ بَلَايَا الْآخِرَةِ كَمَا دَفَعْتُ عَنْهُ بَلَايَا الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: شَهِدَ لِي عَبْدِي أَنِّي الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، أَشْهَدُكُمْ لِأَوْفَرِّ مِنْ رَحْمَتِي حَظَّهُ، وَلَأَجْزَلِّ مِنْ عَطَائِي نَصِيبَهُ، فَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: أَشْهَدُكُمْ كَمَا اعْتَرَفَ أَنِّي أَنَا مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ، لِأَسْهَلِّ يَوْمَ الْحِسَابِ حِسَابَهُ، وَلَأَتَجَاوِزَنَّ عَنْ سَيِّئَاتِهِ، فَإِذَا قَالَ: ﴿وَإِلَاحَ تَعَالَى﴾ قَالَ اللَّهُ ﻋَزَّوَجَلَّ: صَدَّقَ عَبْدِي إِيَّايَ يَعْبُدُ، أَشْهَدُكُمْ لِأَثْبِينَهُ عَلَى عِبَادَتِهِ ثَوَاباً بِغَبْطِهِ كُلِّ مَنْ خَالَفَهُ فِي عِبَادَتِهِ لِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿وَإِلَاحَ تَسْتَعِيبُ﴾ قَالَ اللَّهُ ﻋَزَّوَجَلَّ: بِي اسْتَعَانَ عَبْدِي وَالتَّجَأَ إِلَيَّ، أَشْهَدُكُمْ لِأُعِينَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَأُغِيثَنَّهُ فِي شِدَائِهِ، وَلَأُخَذَنَّ بِيَدِهِ يَوْمَ نَوَائِبِهِ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ اللَّهُ ﻋَزَّوَجَلَّ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَقَدْ اسْتَجَبْتُ لِعَبْدِي، وَأَعْطَيْتُهُ مَا أَمَلَ، وَأَمَنْتُهُ مِمَّا مِنْهُ وَجَلَ»^(١).

وأهم نواحي جامعية الفاتحة الشريفة لما يجمعه القرآن الكريم هو المضاهاة في وجوه الشفاء، فكما أنَّ القرآن الكريم فيه شفاء من شتى

النواحي لما يوجد في الأبدان والقلوب من الأمراض والعلل الكثيرة، كذلك هذه السورة بوحدتها تجمع وجوه الشفاء التي توجد في القرآن، ومن هنا سميت بالشفاء^(١) والذي يهمننا في المقام هو بيان تعلق القلب ثم كيفية العلاج بالفاتحة الشريفة، فأقول: كما أن للأبدان صحة ومرضاً، ودواء وغذاء، فكذلك للقلوب صحة ومرض^(٢) ودواء وغذاء، وذلك لأن الصحة صفة توجب صدور الأفعال عن موضوعها مستقيمة سليمة على ما وضع عليه، والمرض هو إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها، والخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان الذي يوجب وقوع الأفعال عندئذ مختلفة، فترد هاتين الصفتين المتقابلتين على الأبدان والقلوب على شرع سواء، ويتصور اعتراؤهما عليهما على نهج واحد من ترتيب الآثار وعدمه، فكما أن بالأمراض الجسمية تضعف الأبدان والأعضاء العنصرية وهي تمنع عن التصرف الكامل في شؤونها،

(١) روى العياشي عن إسماعيل بن أبان يرفعه إلى النبي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ لجابر ابن عبد الله: «يا جابر ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه؟ قال: فقال جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله علّمنيها، قال: فعلمه الحمد لله أم الكتاب، قال: ثم قال له: يا جابر ألا أخبرك عنها. قال: بلى بأبي أنت وأمي فأخبرني قال: هي شفاء من كل داء إلا السام يعني الموت».

تفسير العياشي ج ١: ٢٠، تفسير البرهان ج ٤، البحار ج ١: ٤٢.
وروى الفخر الرازي في تفسيره ج ١: ١٧٦ «عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: فاتحة الكتاب شفاء من كل سم».

ومر بعض الصحابة برجل مصروع فقرأ هذه السورة في أذنه فبرئ فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: هي أم القرآن، وهي شفاء من كل داء».

(٢) روى الصدوق في الخصال ج ١: ٣١، عن الخليل بن أحمد، عن محمد بن إبراهيم الديلمي، عن أبي عبد الله «المروزي» عن سفيان، عن مجاهد، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: في الإنسان مضغة إذا هي سلمت وصحت سلم بها سائر الجسد، فإذا سقمت سقم لها سائر الجسد وفسد وهي القلب.

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة ذكرنا شطرا منها في الفصل الثالث، التعليقة-٨.

وتقتصر عن القيام بوظيفتها، والبلوغ إلى اقتناء بغيتها، فبالأدواء والعلل الروحية، تكسف القلوب وتضيق الصدور، وتمنع عن إدراك الفضائل، واقتناء الكمالات الروحية، والارتقاء إلى مدارج السعادة والبلوغ إلى عالم النور، والسير في عوالم الحقيقة إلى أن تحتجب بها عن المبدأ الأعلى، وتنقطع عن المولى سبحانه، وتحرم عن كل نعمة ومنة.

وكما أن الأمراض الجسمية منها ما يمنع البدن عن كمال الاستفادة من الروح البخاري والاقتراس النهائي عن الحياة الجسمانية، ومنها ما يميت الإنسان ولا يقبل العلاج، بل يقطعه عن الروح بتاتاً، ويوجب الانفصال بينهما، كذلك الرذائل الخلقية، والأدواء الروحية، والعلل القلبية منها ما يمنع القلب عن تحصيل الكمالات في الحياة الأخروية، والنزوع إلى الدار الآخرة التي هي الحيوان، ويؤثر نحواً من الانقطاع عن روح الإيمان والنزوع عنها، كما ورد في قولهم عليه السلام: «لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن»^(١) وهكذا وهكذا.. وذلك في الصغائر من السيئات، والذمائم من الصفات التي تقبل العلاج.

ومنها ما هو سم قاتل غير قابل للعلاج إذا استولى واستحكم فيه، يوجب الانقطاع التام عن روح الإيمان، فتنزع عنه الحياة الدينية. كالجهل المركب والنفاق، والجحود، والشك، والعناد، واللداد، إلى غير ذلك من المهلكات، فهي تميت صاحبها، وتجعله ميتاً بين الأحياء، إذ حياة القلب: بنور الإيمان بالله واليوم الآخر، والفعل الخاص به من الذكر والطاعة والعبودية، كما أن حياة البدن: بقوة الحس والحركة والفعل

(١) في الكافي ج ٢: ٢٨٤، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن حكيم قال: «قلت: لأبي الحسن عليه السلام: الكبائر تخرج من الإيمان؟ فقال: نعم وما دون الكبائر، قال رسول الله ﷺ: لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن». ولتوضيح المراد من هذا الحديث راجع الفصل الثالث، التعليق-٩.

الخاص به من الأكل والشرب والمشي وغيرها.
وكما أن الأمراض الجسدية توجب ميل صاحبها إلى الأشياء المضرة والأغذية التي لا يصلح تناولها في تلك الحال، وتحرص لما يمنع منه، كذلك الأمراض الروحية توجب ميل النفس إلى ما يفسد القلب ويعميها ويصممه ويبيكمه، وتعطفه إلى رديّ الخلاق، وتميله إلى العشرة الذميمة التي تميت القلب من محادثة الجهال، ومعاداة العلماء، ومجالسة الأغنياء، ومسامرة النساء، ومجاملة الأذنين، ومداينة الفاسقين ومكاشرة الأصدقاء.

وكما أن الصلة بين الروح والجسد إنما تدور مدار صلاحه وصحته، واعتداله واستقامته، والقيام بواجب أمره، وتختلف مدارجها باختلاف الصحة والصلاح، وتزيد وتنقص بالزيادة والنقصان فيهما، بحيث كلما زاد اعتدال عضو من الأعضاء وبدا فيه الصلاح، وظهرت فيه الصحة: زاد توجه الروح إليه، ويشد الحب والعلائق بينهما إلى أن ينتهي إلى أقصى المدارج، ويكمل بتمام الصحة، وانتهاء الصلاح إلى غايته، ومثله في جانب التسافل والتنازل مهما يشتد عليه المرض إلى أن ينتهي إلى التقاطع والانفصال فتعرض الروح عن العضو الفاسد وترتضي قطعه وفصله عنه. وكذلك الحب والعلائق الكائنة بين القلوب والأرواح، وبين من خلقها أو من خلقت له، إنما تختلف بمدارج صحة القلوب وصلاحها، وتدور مدار حياتها، ونورانيتها واعتدالها على ما خلقت له وكلفت به، ولا تتم سلامة القلب إلا بالتوحيد، والعلم والمعرفة، والذكر، والموعظة، وترك الشهوات، فإن التوحيد، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «حياة النفس، والعلم محيي النفس، والمعرفة نور القلب، والذكر نور العقول وحياة النفوس وجلاء الصدور، والمواظب صقال النفوس وجلاء القلوب،

والشهوات سموم قاتلات، والانقياد للشهوات من أدوى الداء، والشهوات أعلال قاتلات، وأفضل دوائها اقتناء الصبر عنها^(١).

وهذه كلها يجمعها العلم، والصبر بالطاعة وترك المعصية، ويجمعها التقوى، فالقول الفصل أن صحة القلب وسلامته الواردة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۚ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٢) إنما هي بالتقوى والعلائق، والروابط الروحية إنما تدور على التقوى، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٣) إذ حقيقة التقوى تخلية القلب عن العلل وتعريته عن الأمراض، والاتقاء عما يفسده ويمرضه من اعتقاد وعمل، فالتقوى عبارة أخرى عن صحة القلب، كما ينم عن ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «ألا وإن من البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن، وأشد من مرض البدن مرض القلب، ألا وإن من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب»^(٤)، وقد عبر المولى سبحانه عن مرض القلب وصحته بالفجور والتقوى فقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٥).

وكما أن لكل عضو من البدن مرضاً يخص به وداء يعلله ويمرضه، كذلك أدواء القلب كل واحد منها يؤثر فيه نحواً من الأثر، ويوجب كل من العلل الروحية والذمائم النفسية فساداً خاصاً في القلب، ويخرجه عن الاعتدال، ويكشف عن أثره الخاص الوارد على القلب من عمى وصمم وبكم وغيرها.

(١) الغرر والدرر للآمدى.

(٢) سورة الشعراء / الآية ٨٨-٨٩ / .

(٣) سورة الحجرات / الآية ١٣ / .

(٤) نهج البلاغة - الحكم: ٣٨٨.

(٥) سورة الشمس / الآية ٧-٨ / .

فمنها: ما يعمي بصره فلا يستطيع صاحبه أن يرى الآيات الإلهية، ويشاهد الحق، ويكره أن ينظر إلى مالا يلائمه ما دام عليه ذلك المرض، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾^(١) وقال: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾^(٢) وقال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٣).

ومنها: ما يصم القلب ويحدث في أذنه وقراً فلا يتمكن المبتلى به أن يسمع الحق ويصغي إلى المعارف الإلهية ويصيح إليها، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَآذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾^(٤) وقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾^(٥) وقال: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾^(٦).

ومنها: ما يكسف القلب ويسلب عنه الفهم والفقه والتدبر في آيات الله فلا يفقه صاحبه حديثاً، قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾^(٧).
ومنها: ما يبكمه ويخرس صاحبه ويمنعه عن الذكر فلا يقدر أن يتفوه بما وضع له ويعترف بالحق ويتكلم به فيسكت بذلك عن ذكر مولاه تسبيحاً وتمجيداً وتحميداً وتهليلاً، ويقول مُنْكَراً من القول وزوراً، ويحب لغو الحديث. ومنها: ما يوجب ذلك كله باستيلاء الأدواء على القلب فينسلخ عنه روح الإيمان بكله، وتنتزع عنه الحياة الدينية، فلا يسمع ولا يبصر، ولا يذكر ولا يعقل، ولا يشعر ولا يفقه قولاً.

(١) سورة الأعراف / الآية ١٧٩ .

(٢) سورة التكاثر / الآية ٥ .

(٣) سورة الحج / الآية ٤٦ .

(٤) سورة الأعراف / الآية ١٧٩ .

(٥) سورة الكهف / الآية ١٠١ .

(٦) سورة هود / الآية ٢٠ .

(٧) سورة الأعراف / الآية ١٧٩ .

الشفاء بالفاتحة

إن القرآن الكريم كما فيه وجوه الشفاء يستعان بظواهر آياته وقراءتها واستصحابها على دفع العلل والأسقام، ويعالج به الأمراض البدنية، ويدفع به المكاره والمضار، والبلايا والآفات على ما تقتضيه الحكمة الإلهية، وبالتدبر في معانيه والأخذ بمغزاه يزول عن القلوب عمى الجهل، وحيرة الشك، وتيه الضلال، ويعالج به ما في الصدور من داء الكفر والنفاق والشقاق بأي التوحيد والعدل، ويسوق البشر إلى اقتناء الفضائل واكتساب مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، ودفع ما يشين الخلق، ويسقطه لدى مولاه، ويحطه من مكارم لطفه، فهو شفاء للناس عامة في دنياهم وآخرتهم، لأبدانهم وأرواحهم، ورحمة للمؤمنين الذين ينتفعون به خاصة، كذلك سورة الفاتحة تجمع جميع ما في القرآن من وجوه الشفاء للأمراض والعلل البدنية والروحية القلبية.

أما العلل العارضة على الأبدان فقد روي عن النبي الأعظم ﷺ أنه قال: «فاتحة الكتاب شفاء من كل داء إلا السام والسم الموت»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «قراءة الحمد شفاء من كل داء إلا السام»^(٢).

(١) تفسير العياشي ج ١: ٢٠.

(٢) البحار ج ٩٢: ٢٦١.

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام: «من لم تبرئه الحمد لم يبرئه شيء»^(١).

فهي عوذة كبيرة ورقية واقية يستعاذ بها من الأعداء، ويستعان بها على دفع العلل والأمراض الهائلة بعدة أنحاء على ما ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وإليك بعضها:

روى الراوندي في دعواته عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «اعتلّ الحسين عليه السلام فاحتملته فاطمة صلوات الله عليها فأنت النبي صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله ادع الله لابنك أن يشفيه، فقال: يا بُنَيَّةُ إن الله هو الذي وهبه لك، وهو قادر على أن يشفيه، فهبط جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمد إن الله تعالى لم ينزل عليك سورة من القرآن إلا فيها فاء، وكل فاء من آفة ما خلا الحمد، فإنه ليس فيها فاء، فادع بقدر من ماء فاقراً عليه الحمد أربعين مرة، ثم صبّ عليه فإن الله يشفيه، ففعل ذلك فعوفي بإذن الله»^(٢).

وروى شيخ الطائفة في أماليه، عن أبي الحسن العسكري عن آبائه، عن الصادق عليه السلام قال: «من نالته علة فليقرأ في جيبه «جيبه» الحمد سبع مرات فإن ذهبت العلة وإلا فليقرأها سبعين مرة وأنا الضامن له العافية»^(٣). وعن العالم عليه السلام: «من نالته علة فليقرأ في جيبه أم الكتاب سبع مرات، فإن سكنت وإلا فليقرأ سبعين مرة فإنها تسكن»^(٤).

وبالإسناد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كسل أو أصابته عين أو صداع بسط يديه فقرأ فاتحة الكتاب والمعوذتين ثم

(١) تفسير العياشي ج ١: ٢٠، البحار ج ٩٢: ٢٣٧ و ٢٦١، البرهان ج ١: ٤٢.

(٢) البحار ج ٩٢: ٢٦١.

(٣) أمالي الطوسي ج ١: ٢٩٠، البحار ج ٩٢: ٢٣١، البرهان ج ١: ٤٣.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٤١٨ البحار ج ٩٢: ٢٣٤.

يمسح بها وجهه ، فيذهب عنه ما كان يجده»^(١).
وبالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام : «من لم تبرئه سورة الحمد ، وقل هو الله أحد ، لم يبرئه شيء ، وكل علة تبرئها هاتان السورتان»^(٢).
وبالإسناد عن المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله (جعفر بن محمد الصادق عليه السلام) : «أنه دخل عليه رجل من مواليه وقد وُعث وعك وقال له : مالي أراك متغير اللون؟ فقلت : جعلت فداك وُعث وعكاً شديداً منذ شهر ، ثم لم تنقل الحمى عني ، وقد عالجت نفسي بكل ما وصفه إلي المترفعون فلم أنتفع بشيء من ذلك ، فقال له الصادق عليه السلام : حل أضرار قميصك وأدخل رأسك في قميصك ، وأذن وأقم ، واقرأ سورة الحمد سبع مرّات قال : ففعلت ذلك فكأنما نُشطت من عقال»^(٣).
وعن أحدهم عليه السلام قال : «ما قرأت الحمد (على وجع) سبعين مرة إلا سكن ، وإن شئتُم فجربوا ولا تشكوا»^(٤).
وفي مكارم الأخلاق عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : «في الحمد (سبع مرّات) شفاء من كل داء ، فإن عُوذ بها صاحبها مائة مرة وكان الروح قد خرج من الجسد رد الله عليه الروح»^(٥).
وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : «لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان عجباً»^(٦).
وفي الكافي بالإسناد في حديث عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال :

(١) طب الأئمة ص ٣٩ ، البحار ج ٩٢ : ٣٣٤ ، مكارم الأخلاق ص ٤٢٩ .

(٢) طب الأئمة ص ٣٩ ، البحار ج ٩٢ ، ٢٣٤ .

(٣) طب الأئمة ص ٥٣ ، البحار ج ٩٢ : ٢٣٥ .

(٤) طب الأئمة ص ٥٤ ، البحار ج ٩٢ : ٢٣٥ ، البرهان ج ٢ : ٤١ .

(٥) مكارم الأخلاق ص ٤١٨ ، البحار ج ٩٢ : ٢٥٧ .

(٦) مكارم الأخلاق ص ٤١٨ ، البحار ج ٩٢ : ٢٥٧ ، البرهان ج ٢ : ٤١ .

«إنما شفاء العين قراءة الحمد، والمعوذتين وآية الكرسي»^(١).
وأما الأمراض الروحية فهي على كثرتها من الكفر والنفاق،
والنصب، والأمل بغير الله، والرياء، والسمعة، والعجب، والكبر،
والحقد، والحسد، والشح، والبخل، والحرص، والجبن، الى غير ذلك
مما يوجد في القلوب من العلل والأدواء، فكما أن القرآن الكريم فيه
شفاء لما في الصدور كله، وفيه هدى ونور ورحمة للمؤمنين، كذلك
سورة الفاتحة فيها ما في القرآن من وجوه الشفاء لما في الصدور، فهي
لاشتمالها على الأصول الخمسة على ما بيّناه تزيل درن الكفر وتشفي علّة
النفاق، وتزيح لوث النصب، وتهدي إلى الصراط المستقيم، وترشد إلى
المبدأ الأعلى، وتدعو إلى الحق المبين، وتعرب عن المعاد، وتدرس
العبودية، وطريقها السوي، وتعرّف النبي الأعظم ووصيّيه المطهّرين، كما
أنها تصلح النفس من ذمائم الصفات، وتعطيها رشدًا، وتهذبها عما
يفسدها، وتعالج أمراضها، وتمرّنها بصلاحها، وتزينها بمحاسنها،
فقراءتها والتدبر في معانيها والاستشفاء بها تساوق قراءة القرآن الكريم،
والاستشفاء به لعامة الأمراض القلبية.

(١) الكافي ج ٦: ٥٠٣، البحار ج ٩٢: ٢٦٠.

الامل بغير الله

أما الأمل بغير الله، فالتأمل في معاني الفاتحة الكريمة لمّا عرف بأن النعم كلها من المولى سبحانه وتعالى وهو يستحق الحمد بنعمه التي لا تحصى، وهو رب العالمين، والخلائق كلها رهين تربيته في نشأتها كلها، ومنه بُدئت واليه تعود، والأشياء كلها بجملتها له سماؤها وأرضها، ومابث في كل واحد منهما ساكنه ومتحركه، والعوالم كلها في قبضته يحويها ملكه وسلطانه، وتضمها مشيئته، وتتصرف عن أمره، وتتقلب في تدبيره، ليس لها من الأمر إلا ما قضى، ولا من الخير إلا ما أعطى واستفاد منها، إن الله تعالى هو ولي تلکم النعم، ورحمان الدارين لعامة الخلائق، ورحيم بالمؤمنين خاصة في الآجل، وهو الذي أسبغ على خلقه نعمه: ظاهرة وباطنة، وبذلك كله ينحصر الحمد له تعالى، وهذا معنى الربوبية الأحدية، والقيومة الأزلية، والملك الأعظم المنصوص بها في السبع المثاني، فلا يبقى عندئذ له مجال للأمل بغير الله، فإنهم عباد مربوبون عاجزون محتاجون، كما يعبر في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وبها يعالج داء أمله بغير الله، ولا يرى وجهاً لرجاء غيره، ولا يجد في نفسه إقبالاً على أي أحد، كيف يرجو غيره والخير كله بيده، وكيف يؤمل سواه والأمر والخلق له.

الرياء والسمعة

مهما تدبر العبد في الفاتحة الشريفة، وأطلع بها على أن المولى سبحانه وتعالى هو الذي يربّيه في عوالم سيره إليه، وإليه تنتهي غاية أمره، وهو مالك مبدئه ومنتهاه، وله الأمر والخلق، وهو الرحمان الرحيم، وكل ما في الوجود فهو من مواهبه وعطاياه، ونعمائه وآلائه، واعترف بكلمة الحصر بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أن الكل عباده، وهو الإله، والمعبود والمستعان، يعالج بذلك نفسه من مرض الرياء والسمعة، لتجتث من قلبه أصولها، ويصلح به صدره، ويخلص عمله، ويداوي مرضه، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً، إذ حدّ الرياء والسمعة هو إرادة العباد بطاعة الله، وطلب المنزلة في قلوب الناس بإراءتهم خصال الخير، وإسماعها إياهم لغاية من مطامع الدنيا، وهذا المرض الموبق يعتري الإنسان من سوء ظنه بالمولى، وهو إشراك ينافي ما في الفاتحة من المعاني الفخمة، والمعارف الإلهية، فبعد معرفة أن الله تعالى هو مصدر جميع النعم، وهو المنعم على الإطلاق فلا تبقى هناك غاية تصلح ابتغاءها للمرائي وأخيه، ولا يوجد هناك غرض وبغية لم تكن لله فيه يد، ولم يكن له قدر وقضاء.

العجب

لَمَّا استفاد قارىء الفاتحة الشريفة منها أنه عبد من عباد الله تعالى وكل ما بيده لمولاه، والخلق كلهم مربوبون فقراء إلى الله بجميع معاني الكلمة، وهو ربهم وراحمهم ومالكهم يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وعلم أن الطاعات والعبادات من نعم الله تعالى عليه بالتوفيق والتمكين منه وهو المستعان فيها، وبذلك هو أولى بحسنات عبادته منهم، كما ورد في الحديث القدسي في الكافي^(١) فلا يعتريه العُجب، ولا تروقه نفسه، ولا يعجبه شيء مما يجد من بدائع ذاته، ومحاسن نفسه، وبسط ماله، ومكارم أخلاقه وفعاله، إذ حدّ العجب هو استعظام النعمة والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المنعم، وعلته الجهل المحض بما ينبئ عنه المولى سبحانه وتعالى في هذه السورة من المعارف الإلهية، ولكونه ناشئاً عن الجهل والغفلة عمّا تقرُّ به السبع المثاني، وقد ورد في الحديث الشريف:

«المعجب لا عقل له»^(٢).

(١) راجع لفظ الحديث في الفصل الثالث التعليقة رقم-١٠.

(٢) غرر الحكم ص ٢٣، ٤٠.

«إعجاب المرء بنفسه حمق»^(١).

«العُجب رأس الجهل»^(٢).

«العُجب رأس حماقة»^(٣).

«العُجب عنوان حماقة»^(٤).

«العُجب يفسد العقل»^(٥).

«إعجاب الرجل بنفسه برهان نقصه وعنوان ضعف عقله»^(٦).

«العُجب حمق»^(٧).

فداء العُجب إنما يعالج بالتوجه إلى المعاني المبثوثة في الفاتحة من معرفة الأصول، وذكر المنعم وإضافة النعم إليه، والاعتراف بالعبودية والفقر إلى الله بالاستعانة به، وانتهاء الجمال والحسن من كل جميل وحسن إليه تعالى فحسب، والقلب لَمَّا أُشرب بهذه المعارف يرى العُجب سفهاً ونقصاً وحمقاً، وَلَمَّا اجْتُنِثُتْ أصول العُجب فلا يبقى مجال للتكبر والترفع، إذ هو فرع العُجب، والعُجب بذره بأقسامه الثلاثة أعني التكبر على الله، وعلى الرسل، وعلى العباد، والعبد مهما بلغ من العز والعظمة لا يناسبه التكبر والترفع على أي أحد بعد الإقرار بالعبودية والعجز، ومعرفة أن الخلق كلهم مربوب مملوك ذليل في يد مولاه، ولا يتكبر إلا إذا جهل وغفل عما هو عليه، ومن هنا قال أمير

(١) غرر الحكم ص ٢٣، ٤٠.

(٢) غرر الحكم ص ٣١.

(٣) غرر الحكم ص ١٥.

(٤) غرر الحكم ص ١٦.

(٥) غرر الحكم ص ١٩.

(٦) غرر الحكم ص ٥١.

(٧) غرر الحكم ص ١٣.

المؤمنين عليه السلام: «التكبر رأس الجهل»^(١).
ولعلَّ لإزاحة هذا الداء العضال من الصدر يُستحبُّ للمصلي تكرار
قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

(١) غرر الحكم ص ١٠٢. ولفظه: «التواضع رأس العقل والتكبر رأس الجهل».

الحقد والحسد

يعالج بسورة الشفاء داء الحسد الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام :
«إنه شر الأمراض»^(١).

وقال: «الحسود دائم السقم وإن كان صحيح الجسم»^(٢).

وقال: «الحسد داء عياء لا يزول إلا بهلك الحاسد أو بموت المحسود»^(٣).

وذلك أن حدَّ الحسد: كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه وحب الشر وبقاؤه على من ابتلي به.

فالحاسد كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : «يفرح بالشر ويغتم بالسرور»^(٤)، ولا يشفيه إلا زوال النعمة^(٥)، ويرى «أن زوال النعمة عمن يحسده نعمة عليه»^(٦) كما نص به أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من آثار الحقد، والحقد من ثمرات شجرة الغضب، ولذا قال أبو الأئمة عليهم السلام:

(١) غرر الحكم ص ١٦.

(٢) غرر الحكم ص ٥٠.

(٣) غرر الحكم ص ٤٧.

(٤) غرر الحكم ص ٣٤.

(٥) غرر الحكم ص ٣٤.

(٦) غرر الحكم ص ٤٣.

«الحسود غضبان على القدر»^(١).

فالرجل إذا أقرّ بالعبودية وعرف ان النعم بأسرها من المولى سبحانه وهو رب العالمين، وقد جعل لكل واحد من نعمه سهماً، وقسّم رحمته بين عبادته، وقسّم بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، وعلم أن المنعم هو المولى سبحانه، وكلّ ما في الكون من نعمة أو بلاء فبقضائه، ومشئته وإرادته، وكل ذلك بربوبيته الأحديّة، ومالكيته الصمديّة، ورحمته العامة، المستفادة من سورة الحمد، فعليه أن يخضع ويرضى بما قسّم مولاه بين عبادته، ويسّرّه تقديره، ولا يعادي نعمه، ولا يرتضي زوال نعمة من أنعم عليه، ولا يغرس في قلبه حبة الحسد، إذ الحاسد كما ورد في الحديث القدسي «عدو لنعمة الله، متسخط بقضائه، غير راض بقسمته التي قسم بين عبادته»^(٢). وقال رسول الله ﷺ: «كاد الحسد أن يغلب القدر»^(٣).

وقال الله ﷻ: «إن لنعم الله أعداء، قيل: ما أعداء نعم الله يا رسول الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله»^(٤).
فالمؤمن بالله وبربوبيته، وملكه، وقِيُومِيّته، ورحمانيّته، وإضافة النعم إليه لا يحسد ولا يكره نعمة ارتضاها الله لعبده من عبادته، ومن هنا

(١) غرر الحكم ص ٢٨.

(٢) روى الكليني في الكافي ج ٢: ٣٠٧، عن يونس، عن داود الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ لموسى بن عمران عليه السلام، يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدن عينيك إلى ذلك، ولا تتبعه نفسك، فإن الحاسد ساخط لنعمي، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني».

(٣) الكافي ج ٢: ٣٠٧، أمالي الصدوق ص ١٧٧.

(٤) البحار ج ٧٣: ٢٥٦، جامع الأخبار ص ١٨٦.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الإيمان براء من الحسد»^(١).
وقال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام: «إن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»^(٢).

فعلى الحاسد التداوي بالمعارف المبتوثة في الفاتحة الشريفة.
ومما ذكر يُعلم طريق الاستشفاء بالفاتحة من مرض الحقد الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام:
«إنه داء دويّ ومرض موبى»^(٣).

إذ الحسد من ثمرات الحقد كما أسلفناه، وهو إضمّار العداء في القلب، وتربُّص الفرصة للانتقام، وهو من ثمرات الغضب، وإنما يعالج بالوقوف على معاني الفاتحة، إذ العبد بعد اعترافه بالعبودية واستعانتة من المولى سبحانه وتعالى، وتخطبه معه بخطابه ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وعلمه بان وراءه يوم يدان فيه، وله ملك يأخذه، كيف يتّصف بالغضب وهو من صفات الكلاب الضارية، والسباع العادية، فلاعتراف بالعبودية والإقرار بالعجز، والحاجة إلى عون المولى، وذكر الموت والمعاد، والتوجه إلى يوم الجزاء، ومعرفة مالك ذلك اليوم، يسكن غضب الرجل ويصلحه، ومن هنا قيل: إنه ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها: إِرْحَمِ الْمُسْكِينَ، واخش الموت، واذكر الآخرة، فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه.

فصحيفة الفاتحة الشريفة التي مَنْ بها المولى سبحانه على النبي الأعظم هي أرقى معنى، وأغزر مغزى عن صحايف حكماء بني إسرائيل وإنها تحسم مواد الغضب، والأدواء القلبية المترتبة عليه، ولعل لإدراك

(١) الغرر والدرر ص ١٧.

(٢) الكافي ج ٢، ٣٠٦.

(٣) غرر الحكم: ٣٥.

هذا الأثر العظيم يستحب تكرار قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وقد ورد أن الإمام زين العابدين سلام الله عليه كان يكرره في صلاته حتى كاد أن يموت^(١).

(١) روى العياشي في تفسيره ج ١: ٢٢، والمجلسي في البحار ج ٩٢: ٢٣٩، عن الزهري قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: «لو مات ما بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي، وكان إذا قرأ: مالك يوم الدين يكررها ويكاد أن يموت».

الشح والبخل

إن المعاني المودعة في سورة الفاتحة تحسم أصول هذا المرض، إذ حدُّ البخل منع واجب الشرع أو واجب المروءة والعادة، حباً للمال واستكثاره وإبقائه، وذلك إذا لم يقارن بالحرص، فإن قارنه فهو الشح وهذا يتنافى جداً مع معرفة العبودية وحقيقتها، ويعارض العلم بأن العبد لا يملك، وأنه مربوب ليس عليه التدبير، وأنه سينقطع عمله ووراءه ملك يؤاخذه، ويحاسبه يوم الدين، ويجازيه بما يستحقه، فالعبد بعد التفاته إلى حقيقة عبوديته، وعرفان أن كلَّ ما في الوجود من النعم إنما هي من آثار رحمة ربه، وهو وما بيده لمولاه يهون عليه الإنفاق، ولا يشق عليه بسط اليد بالإحسان، ولا يعز عليه أداء واجب الشرع أو المروءة والعادة، وإقامة الفروض الإنسانية، والقيام بحدود البشرية فعارف معنى الفاتحة والمتدبر لها لا يعقل أن يتصف بهذا المرض الناشئ عن الجهل بما تضمنته الفاتحة، فهما وما يليهما من الحرص كلها أدواء ناشئة عن سوء الظن بالله كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام : «الجبن، والحرص، والبخل غرائز سوء يجمعها سوء الظن بالله»^(١) فالإذعان بما في الفاتحة

(١) غرر الحكم ص ٤٣. وفي علل الشرايع ج ٢: ٢٤٦ والبحار ج ٧٣: ١٦٢ عن رسول الله ﷺ قال: اعلم يا علي أن الجبن والبخل والحرص غريزة واحدة يجمعها سوء الظن.

الشريفة من المعاني الفخمة، يصلح القلب عنها ويبرئه منها ويشفيه من
درنها.

الجبن

إن الإذعان والاعتناق بما تعرب عنه الفاتحة الشريفة من صفات المولى سبحانه، واليقين بأن الله تعالى هو رب العالمين والخلق كلهم في قبضته، وهم عباد مربوبون لا يقدرّون لأنفسهم دفعاً، ولا يملكون لها نفعاً، ولا حياة، ولا موتاً، ولا نشوراً، والله هو الذي أنشأهم ويربّهم ويسبغ عليهم النعم، ويدفع عنهم البلايا والنقم، ويبيده الخير، وإليه مصيرهم: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(١) يمنع معتنقيه عن الجبن، والخوف من أي أحد، ويقطعه عن الكل بحيث لا يرى سلطة ومقدرة لأحد عليه، وهذا حد اليقين بالله كما رواه مثني بن الوليد الحنّاط في كتابه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «ما من شيء إلا وله حدّ قال: فقلت: وما حدّ التوكل؟ فقال: اليقين قلت: فما حد اليقين؟ قال أن لا يخاف شيئاً»^(٢).

(١) سورة النجم / الآية ٣١ / .

(٢) ولفظ الحديث في الكافي ج ٢: ٥٧: «عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ليس شيء إلا وله حد، قال: قلت: فجعلت فذاك فما حد التوكل؟ قال: اليقين. قلت فما حد اليقين؟ قال: ألا تخاف مع الله شيئاً».

الأمل

بالتأمل في أم الكتاب ينجو المؤمن عن معترك الآمال، ويخلص نفسه من مصيدة الأمل، وينقذه من مخالفه، وهو كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خادع، غارّ، ضارّ، والمغتر به مخدوع»^(١).

وقال: «الآمال غرور الحمقى»^(٢).

وقال: «الأمل ينسي الأجل»^(٣). و«الأمل حجاب الأجل»^(٤).

فهذه المساءة التي هي أسّ الشرور، ورأس العيوب، ومادة الأدواء الروحية، إنما تنشأ عن الغرور، والجهل، والنسيان، يعالجها ذكر العبودية، والتوجه إلى المولى سبحانه وتعالى بالطاعة، ويصلح القلب منها بالتأمل في أن الخلق عبيد يربّيهم رب العالمين، ولهم في الدنيا آجال مقدّرة تحصد بها الآمال، وينقطع بها بغية كل طالب، وتنفصل عرى كل غاية متوخاة، ووراءهم يوم مشهود، يدان به الخلاق، يربّهم ربهم أعمالهم حسرات عليهم، والخلق كلهم في قبضته في العاجل

(١) غرر الحكم ص ١٨، ولفظه: «المغتر بالآمال مخدوع».

(٢) غرر الحكم ص ١٨.

(٣) غرر الحكم ص ٢١.

(٤) غرر الحكم ص ٢٣.

والآجل فبذكر المولى سبحانه، والإيمان بربوبيته وتصديق العبودية، والإذعان بيوم الدين، والاعتقاد بالملوكية المطلقة، والقيومية الأبدية، المستفاد كلها من الفاتحة الشريفة، وانتظار يوم الحساب تملأ الصدور هول المطلع وتقشعر به القلوب، وتكون وجلة مشغولة عن كل أمل، كما أن طول الأمل وتعلق القلب به يكشف عن الجهل بالمعارف المذكورة، والغفلة عن المعاني الماثلة في الفاتحة الشريفة من الاعتقادات المعزى إليها، وإليه أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «ولولا الأمل علم الإنسان حسب ما هو فيه، ولو علم حسب ما هو فيه مات «خفاتاً» من الهول والوجل»^(١).

وبذلك كله يعلم، وجه تسمية هذه السورة الشريفة بالشفاء، والكافية والأساس، كما ورد عن ابن عباس: «إن لكل شيء أساساً (إلى أن قال) وأساس القرآن الفاتحة، وأساس الفاتحة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢) فإنها كما سمعت شفاء من كل داء جسمي وروحي، ولأنها تكفي عما سواها بجامعيتها كما روي عن النبي ﷺ: أم القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضاً عنها^(٣) وهي اس المعارف الالهية، والاعتقادات الدينية، وأصول الاسلام والايمان يبتني غيرها عليها ولا تبتني هي على غيرها.

فمجمل القول: إن الفاتحة الشريفة بجامعيتها من نواح شتى، واشتمالها على ما يشتمل عليه الكتاب العزيز من المعاني الفخمة، والمعالم الدينية، من المولى سبحانه على النبي الأعظم بها، كما من على أمته بقراءتها في الصلوات الخمس، لاستخلاص المصلي نفسه عن درن الضلال، والاهتداء بها إلى معالي الايمان، وتهذيبها وتقديسها

(١) سفينة البحار ج ١: ٣٠.

(٢) مجمع البيان ج ١: ١٧.

(٣) مجمع البيان ج ١: ١٧.

وتطهيرها وتكميلها، والتخلق بمكارم الأخلاق، والرقى إلى أوج الكمال، فقراءتها فيها كل يوم خمس مرات بكرة وعشياً تساوي قراءة القرآن الكريم والتوجه إلى حكمه ومعانيه وجوامعه وأصول معارفه مرة بعد أخرى.

روى شيخنا الصدوق في الفقيه عن أبي الحسن الرضا أنه قال: «أمر الناس بالقراءة، في الصلاة لئلا يكون القرآن مهجوراً مضيعاً، وليكن محفوظاً مدروساً، فلا يضمحل ولا يجهل، وإنما بدأ بالحمد دون سائر السور، لأنه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد (إلى أن قال) فقد اجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة من أمر الآخرة والدنيا مالا يجمعه شيء من الأشياء» الحديث^(١).

فالمصلّي إن كان قرأها ملفتاً نظره إليها، متوجّهاً إلى ما فيها من المعاني، ملتفتاً إلى ما بيّنه المولى فيها مما أسلفناه من الجوامع والحكم يصلح نفسه عن الأدواء الروحية المهلكة والخلايق القتالة والأمراض المردية، والنفسيات الموبقة، وكل صفة مسقطة، لتكون صلاته بفاتحة الكتاب معراجاً ووفوداً إلى المولى سبحانه وتعالى ويحصل بها شفاء ودواء من كل داء ورشداً إلى كل معروف، وتنزهاً من كل فاحشة، وبرءاً من كل منكر، وبعداً من كل مهلكة، وصلة وقرباً إلى المنجيات كلها، ويجدها قائداً إلى الرضوان، وذائداً عن العصيان، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢).

وقول النبي ﷺ: «الصلاة معراج المؤمن».

(١) من لا يحضره الفقيه ج ١: ٢٠٣.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

بل المراد من الآية الشريفة هي الفاتحة الكريمة بخصوصها، إذ سماها المولى سبحانه بالصلاة، كما ورد في الحديث النبوي على محدثه وآله الصلاة في حديث أسلفناه قال: قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» ثم يذكر تنصيف سورة الحمد كما مر^(١).

الفصل الثاني

تحليل السورة

لا جبر ولا تفويض.

الأمر بين الأمرين.

صفات الذات وصفات الفعل.

العلم الإجمالي والتفصيلي.

المشيئة الأزلية والمحدثة.

المشيئة والإرادة المحدثة.

إرادة تكوين وتشريع.

إرادة حتم وإرادة اختيار.

تحليل السورة

عندما لم نجد في صريح الكتاب الكريم في هذه السورة الشريفة وغيرها أسماء وصفات لله تعالى، يهمننا بيان الصفات وأقسامها ووجه اتصافه بها، فنقول: إن أناساً أرادوا تنزيه المولى سبحانه عن مشابهة المخلوقين ولم يتصوروا هناك صورة صحيحة غير ما يعقلونه في الممكنات فوقعوا في التعطيل ونفي الصفات عنه رأساً وهم المعتزلة. وآخرون أرادوا أن يصفوه بصفاته العليا، وأسمائه الحسنى، ولم يهتدوا إلى التوصيف الصحيح غير ما يعقلونه في الممكن فاثبتوها له صفات زائدة على ذاته فوقعوا في التشبيه وهم الأشاعرة. فأكثر الناس بين معطل ومشبه.

وهناك مذهب ثالث لا هذا ولا ذاك بل أمر بين الأمرين ويحق أن يقال به: وهو الإثبات بلا تشبيه بمعنى أن الأسماء والصفات مع كثرتها واختلاف مفاهيمها وتفصيلها يوصف بها المولى سبحانه وتعالى غير زائدة على ذاته، ولا على جهة جزئية له واقتران ليلزم التركيب والتأليف، بل مع اعتبار أحديّة المعنى في الذات والصفات، والكتاب الكريم ينظر إلى جهتي التعطيل والتشبيه فيصف المولى سبحانه وتعالى تارة بمثل

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) مشيراً إلى نفي التعطيل وينفي عنه الصفة تارة أخرى بمثل قوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٢) ايعازاً إلى بطلان التشبيه.

وإلى المذاهب الثلاثة المذكورة وقع النص في غير واحد من الأحاديث منها:

١. في حديث عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ولابد من إثبات صانع الأشياء خارجاً من الجهتين المذمومتين: إحداهما النفي إذا كان النفي هو الإبطال والعدم، والجهة الثانية التشبيه بصفة المخلوقين الظاهر في التركيب والتأليف»^(٣).

٢. عن الامام أبي جعفر عليه السلام أنه سئل: «أيجوز أن يقال إن الله عز وجل شيء؟ قال: نعم، يُخرجه عن الحدّين: حدّ التعطيل وحدّ التشبيه»^(٤). رواه شيخنا الصدوق في التوحيد^(٥).

٣. عن أبي عبد الله عليه السلام بالإسناد: «اعلم رحمك الله ان المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عز وجل فأنف عن الله البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه، هو الله الثابت، الموجود، تعالى الله عما يصفه الواصفون، ولا تعد القرآن فتضلل بعد البيان»^(٦).

٤. بالإسناد عن اليقطيني قال: «قال لي أبو الحسن عليه السلام : ما تقول إذا

(١) سورة الشورى / الآية ١١ / .

(٢) سورة الصافات / الآية ١٨٠ / .

(٣) راجع تمام الحديث في الفصل الثالث التعليقة - ١١ .

(٤) الكافي ج ١ : ٨٢ ، ٨٥ .

(٥) التوحيد ص ١٠٤ ، ١٠٧ .

(٦) راجع تمام الحديث في الفصل الثالث التعليقة - ١٢ .

قيل لك: أخبرني عن الله عَزَّوَجَلَّ شيء هو أم لا؟ قال: فقلت له: قد أثبت الله عَزَّوَجَلَّ نفسه شيئاً حيث يقول: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾^(١) فأقول: إنه شيء لا كالأشياء، إذ في نفي الشيئية عنه إبطاله ونفيه، قال لي: صدقت وأصبت، ثم قال الرضا عليه السلام: للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: نفي، وتشبيه، وإثبات بغير تشبيه، فمذهب النفي لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز، لأن الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه^(٢).

وأما غير هذه من أحاديث الباب المختلفة بظاهرها بين ما يثبت له الصفة، وبين ما ينفيها عنه، فتدرسنا أيضاً بطلان المذهبين، ويرشدنا إلى المذهب الحق الذي هو في جانب من الجهتين، فالمثبت منها ناظر إلى نفي التعطيل، والنافي منها وارد في بطلان التشبيه، فمنها:

١. في خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام رواها الشريف الرضي في نهج البلاغة: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنَّاه، ومن ثنَّاه فقد جزَّاه، ومن جزَّاه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده» الحديث^(٣).

فتقرير الدليل في الخطبة الشريفة إنما يثبت كونه عليه السلام في مقام رد المشبهة، فالمراد به نفي الصفة الموجودة بوجود غير وجود الذات

(١) سورة الانعام / الآية ١٩ .

(٢) التوحيد ص ١٠٧ .

(٣) راجع الفصل الثالث التعليقة - ١٣ .

كالبياض في الأبيض، لا كالناطق للإنسان، ولمّا كان أكثر ما يطلق عليه اسم الصفة هو الذي يكون أمراً عارضاً، ولا يقال للمعاني الذاتية للشيء إنها صفات له كما هو المعهود عند الأذهان، نفى الإمام عليه السلام عنه تعالى الصفة، ألا ترى ان قوله عليه السلام : «فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزّاه»^(١) يعرب عن أنه عليه السلام أراد بالصفة ما قارن الذات، على ما في الأذهان الموجب للاتينية والتركيب والتجزّي والتعدد، كما يلوح إليه قوله عليه السلام في ذيل الحديث في توصيف الملائكة وهو قوله عليه السلام : «لا يتوهمون ربهم بالتصوير، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدّونه بالأماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر»^(٢) فهو عليه السلام أثبت لله تعالى أولاً: الصفة غير المحدودة بقوله: «الذي ليس لصفته حد محدود»^(٣) ونفى بذلك التعطيل، ثم شرع ينفي عنه تعالى الصفة على نحو ما يعقله المخلوقون من الاتصاف على جهة الاقتران والحلول، ففيه نفي من جهتي التعطيل والتشبيه، وإثبات من جهة الثالثة. وإن كنت تعجب: فعجب قول ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٤: «فهو تصريح بالتوحيد الذي تذهب إليه المعتزلة وهو نفي المعاني القديمة التي تثبتها الأشعرية وغيرهم» انتهى.

ليت شعري اين ذلك التصريح المدّعى في الحديث لإثبات ما ذهب إليه المعتزلة من النفي والتعطيل، هل نفي التشبيه يلزم إثبات أحد طرفي نقيضه؟ فضلاً عن كونه صريحاً فيه، وهل ما عداه ينحصر بالتعطيل، أو إثبات الصفة غير المحدودة له تعالى لا يناقض هذه الصراحة المخفية، أو عدم إجراء الملائكة عليه تعالى صفات المصنوعين

(١) راجع ألفاظ الخطبة في الفصل الثالث التعليقة-١٣.

(٢) راجع ألفاظ الخطبة في الفصل الثالث التعليقة-١٣.

(٣) راجع ألفاظ الخطبة في الفصل الثالث التعليقة-١٣.

لا يعرب عما وراء النفي والتعطيل بشيء.

٢. في حديث طويل مسند عن الرضا عليه السلام سأل رجل زنديق أسلم بيده عليه السلام عن مسائل قال الرجل: «فأخبرني عن قولكم إنه لطيف وسميع وبصير وعليم وحكيم، أيكون السميع إلا بالأذن، والبصير إلا بالعين، واللطيف إلا بعمل اليدين، والحكيم إلا بالصنعة، فقال أبو الحسن عليه السلام: إن اللطيف منا على حدّ اتخاذ الصنعة، أو ما رأيت الرجل يتخذ شيئاً فيلطف في اتخاذه فيقال: ما ألطف فلاناً؟ فكيف لا يقال للخالق الجليل (لطيف) إذ خلق خلقاً لطيفاً وجليلاً وركّب في الحيوان منه أرواحها، وخلق كل جنس متبائناً من جنسه في الصورة ولا يشبه بعضه بعضاً؟ فكلُّ له لطف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب صورته، ثم نظرنا إلى الأشجار وحملها أطائبها المأكولة منها وغير المأكولة فقلنا عند ذلك: إن خالقنا لطيف، لا كلطف خلقه في صنعتهم، وقلنا: إنه سميع لأنه لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى، من الذرة إلى أكبر منها، في برّها وبحرها، ولا تشبه عليه لغاتها، فقلنا عند ذلك: إنه سميع لا بأذن، وقلنا: إنه بصير لا ببصر لأنه يرى أثر الذرة السحماء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء، ويرى دبيب النمل في الليلة الدجّة، ويرى مضارها ومنافعها وأثر سفادها، وفراخها ونسلها، فقلنا عند ذلك: إنه بصير لا كبصر خلقه». رواه شيخنا الصدوق في العيون والتوحيد^(١).

(١) التوحيد ص ٢٥٠، وذكره موجزاً الشيخ الكليني في أصول الكافي ج ١: ٧٨، ورواه الصدوق في عيون الاخبار ج ١: ١٣١، والطبرسي في الاحتجاج ج ٢: ١٧١-١٧٣، والمجلسي في البحار ج ٣: ٣٦، راجع لفظ الحديث في الفصل الثالث التعليقة-١٤.

٣. عن العالم عليه السلام بالإسناد، وقد سئل عن شيء من الصفات فقال «لا تتجاوز مما في القرآن»^(١).

قلنا: إن القرآن يثبت له الصفة وينفي عنه التعطيل كما ينفي عنه التشبيه.

٤. البرقي في المحاسن بالإسناد عن الفضل بن يحيى قال: «سأل أبي أبا الحسن موسى عليه السلام

عن شيء من الصفة فقال: لا تجاوز عما في القرآن»^(٢).

أقول: عرفت أن القرآن ينفي التعطيل والتشبيه.

٥. في رجال الكشي في كتاب للإمام موسى بن جعفر عليه السلام أجاب به من سأل عن القول الذي ينبغي أن يدين الله به من صفة الجبار فأجابه عليه السلام : «اعلم رحمك الله أن الله أجل وأعلى وأعظم من أن يُبلغ كنه صفته، فصفوه بما وصف به نفسه، وكفّوا عما سوى ذلك»^(٣).

٦. عن ميمون البان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وقد سئل عن الأول والآخر، فقال: «الأول لا عن أول قبله، ولا عن بدء سبقه، والآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين، ولكن قديم، أول آخر لم يزل ولا يزول، بلا بدء ولا نهاية، لا يقع عليه الحدوث، ولا يحول من حال إلى حال، خالق كل شيء»^(٤).

٧. في حديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال بعد نفي التشبيه والنهي عن وصفه بصفة المخلوقين: «والله خالق كل شيء، لا يقاس بالقياس ولا

(١) راجع تمام الحديث في الفصل الثالث التعليقة-١٥.

(٢) المحاسن ج ١: ٢٣٩، البحار ج ٣: ٢٦٥.

(٣) الكافي ج ١: ١٠٢، البحار ج ٣: ٢٦٦.

(٤) الكافي ج ١: ١١٦.

يُشَبَّهَ بالناس، لا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان، قريب في بعده بعيد في قربه ذلك الله ربُّنا لا إله غيره، فمن أراد الله وأحبه بهذه الصفة فهو من الموحدين، ومن أحبه بغير هذه الصفة فالله منه بريء ونحن منه براء»^(١).

٨. عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وهو يكلم راهباً من النصاري «إن الله تبارك وتعالى أجلُّ وأعظم من أن يُحَدَّ بيد أو رجل أو حركة أو سكون، أو يوصف بطول أو قصر، أو تبلغه الاوهام أو تحيط بصفته العقول» الحديث^(٢).

٩. عن الإمام زين العابدين عليه السلام : «لا يوصف الله بمحكم وحيه عظم ربنا عن الصفة، وكيف يوصف من لا يُحَدُّ، وهو يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير»^(٣).
قوله عليه السلام : «لا يوصف الله بمحكم وحيه» يعني أن القرآن الكريم ينفي عنه التشبيه.

١٠. عن الرضا عليه السلام في جواب رجل قال له: «يا ابن رسول الله صف لنا ربك فقال عليه السلام : إنه من يصف ربه بالقياس لا يزال الدهر في الالتباس، مائلاً عن المنهاج ظاعناً في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، أعرفه بما عرّف به نفسه من غير رؤية، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة، لا يُدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس» الحديث^(٤).

(١) راجع لفظ الحديث في الفصل الثالث التعليقة-١٦.

(٢) التوحيد ص ٧٥، البحار ج ٣: ٣٠٠.

(٣) تفسير العياشي ج ١: ٣٧٣، البحار ج ٣: ٣٠٨.

(٤) التوحيد ص ٤٧، البحار ج ٣: ٢٩٧.

١١. في كتاب لأبي الحسن عليه السلام : «سبحان من لا يُحدّ، ولا يوصف، ولا يشبهه شيء، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير»^(١).

١٢. روى الخزاز في كفاية الأثر، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: «قدم يهودي عليه ﷺ فقال: يا محمد صف لي ربك، فقال ﷺ: إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عما يصفه الواصفون، ناءٍ في قربه، وقريب في نأيه، كيف الكيفية، فلا يقال له: كيف، وأيّ الأين فلا يقال له أين هو، منقطع الكيفوية والأينونية، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، قال: صدقت يا محمد، أخبرني عن قولك: إنه واحد لاشبيه له، أليس الله واحداً والإنسان واحد؟ فوحدانيته أشبهت وحدانيّة الإنسان، فقال ﷺ : الله واحد وأحدي المعنى، والإنسان واحد ثنوي المعنى، جسم وعرض، وبدن وروح، فإنما التشبيه في المعاني لا غير، قال: صدقت يا محمد»^(٢).

١٣. في حديث عن أبي الحسن الرضا عليه السلام رداً على المجسمة:

(١) الكافي ج ١: ١٠٢، التوحيد ص ١٠١، البحار ج ٣: ٣٠٣.

(٢) رواه الشيخ المجلسي في البحار ج ٣: ٣٠٣ مسنداً، باختلاف يسير في صدره، وهو بهذا اللفظ: «أبو الفضل الشيباني، عن أحمد بن مطوق بن سوار، عن المغيرة بن محمد ابن المهلب، عن عبد الغفار بن كثير، عن إبراهيم بن حميد، عن أبي هاشم، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قدم يهودي على رسول الله ﷺ يقال له: نعثل، فقال: يا محمد إني سائلك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أنت أجبتني عنها أسلمت على يدك، قال: سل يا أبا عمارة، فقال يا محمد صف لي ربك...» الحديث.

«سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك، فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاعتهم أنفسهم أن يشبهوك بغيرك، اللهم لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك، ولا أشبهك بخلقك، أنت أهل لكل خير»^(١).

وبيان إثبات الصفات له تعالى بلا تشبيه: أن صانع الأشياء لا حد له ولا جزء ولا برهان عليه، إذ الحدود والبراهين والجزاء مأخوذة من ذاتيات الشيء أو صفاته الكلية، وكل اسم ووصف محدود واقع تحت جنس من عوالي الأجناس، والصفات الإضافية واقعة تحت مقولة المضاف والصفات الحقيقية كالعلم والقدرة مفهوماتها واقعة تحت مقولة الكيف، وكل ما له جنس فله فصل، وكل ما له جنس وفصل فله حد، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فإطلاق الاسماء والصفات عليه تعالى، واتصافه بما وصف به نفسه لا يعقل أن يكون على وجه المقارنة والزيادة عليه، ولا باعتبار ترتب الغايات بلا حصول المبادئ كما قيل، إذ الغايات لا تنفك عن المبادئ، وحيث لا مبدأ فلا أثر يترتب عليه، بل إنما هي كلها موجودة بوجود واحد فيه تعالى على وجه أعلى وأشرف وأبسط، كما يناسب مقامه الأقدس، إذ صفات الجسم كوجوده جسمانية، وصفات النفس نفسانية، وصفات العقل عقلانية، وصفات الروح روحانية، وصفات الله تعالى إلهية، فمع كثرة المفاهيم المتصورة في الصفات ليس هناك إلا وجود واحد ومعنى واحد منزّه عن الكثرة والعدد، مُتَّحِدٌ مع الذات كما سمعت في الحديث النبوي من قوله ﷺ: «الله واحد واحدي المعنى والإنسان واحد ثنوي المعنى جسم وعرض وبدن وروح، فإنما التشبيه في المعاني لا غير».

(١) الكافي ج ١: ١٠٠، التوحيد ص ١١٣.

ويعرب عن هذه الوحدة الإلهية مع كثرة المفاهيم الصفاتية قول الصادق عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى لا يقدر قدرته، ولا يقدر العباد على صفته، ولا يبلغون كنه علمه، ولا مبلغ عظمته، وليس شيء غيره، وهو نور ليس فيه ظلمة، وصدق ليس فيه كذب، وعدل ليس فيه جور، وحق ليس فيه باطل، كذلك لم يزل ولا يزال أبد الأبدین» الحديث^(١). وفي حديث آخر له عليه السلام: «هو نور لا ظلمة فيه، وحياة لا موت فيه، وعلم لا جهل فيه، وحق لا باطل فيه» الحديث^(٢).

(١) التوحيد ص ١٢٨.

(٢) التوحيد ص ١٤٦.

بيان آخر

لا نرتاب أن مفهوم كل صفة من الصفات غير مفهوم صفة أخرى كما أن مفهوم الذات مغاير مع مفاهيم الصفات، وإنما اتصاف الأشياء بها على أنحاء من حلول وعروض، وورود واقتران يوجب التركيب والتأليف والتعدد والتكثر، ويستدعي التجدد والتحول والانقلاب من حال إلى آخر، وهذا كله فيما هو الحادث والمتجدد.

وأما المبدأ الأعلى فإن الصفات وإن كثرت في المفهوم وغايرت بعضها بعضاً، وتباينت مع مفهوم الذات، إلا أنها بحسب الوجود ليست أمراً وراء الذات الأحديّة تعالى مجده، وهي بعينها صفاته الذاتية بمعنى أن ذاته بذاته وجود وعلم وقدرة، وحياة وسمع وبصر، وهي أيضاً موجود عالم قادر، حي، سميع، بصير، يترتب عليها آثار جميع الكمالات، ويكون هو من حيث ذاته مبدأ لها من غير افتقار إلى معانٍ أخرى قائمة به تسمى بالصفات، وتكون مصدراً للآثار لمنافاته الوحدة والغناء الذاتيين فذاته صفاته، وصفاته ذاته، ولا تغاير في الوجود بين صفاته، ولا يستدعي هيئة فاعل ولا مادته في مثل قولنا: عالم وقادر أن يكون هناك ذات قائم بالعلم والقدرة، على وجه التغاير بين الصفة وذاتها، بل معنى العالم ما ثبت له العلم، والقادر ما ثبتت له القدرة، سواء كان بثبوت عينه

أو بثبوت غيره، ألا ترى أنه لو فرضنا بياضاً قائماً بنفسه لقلنا إنه أبيض، ولا يستدعي ثبوتاً غيرتاً، فكذا الحال في جميع الصفات.

فالحُدانية الصرفة الخالصة ذاتاً وصفاتٍ وكونها هي هو، لا ينافي تغاير الصفات في المفهوم، ولا تغاير الذات مع الصفات، فهو تعالى بوحدانيته وصمدانيته علم باعتبار وعالم باعتبار، وهكذا في سائر الصفات وهذه الاعتبار العقلية لا توجب تكثراً في ذاته بوجه من الوجوه، ولا يخلُّ بوحدانيته المحضة أصلاً، بل تزيده وحدةً، لأنه لو فرض أنه لم يكن في ذاته شيء منها لما كان واحداً حقيقياً، مثلاً لو فرض أنه علم وليس بقدرة، أو أنه علم وليس بعالم لكان فيه جهة غير جهة الوجوب والوجود وهي جهة الإمكان، ولا يتوهم أن ذات المولى سبحانه مجهول الكنه لنا، ومفاهيم الصفات معلومة، فكيف تكون هي هو، إذ المعلوم من المفاهيم هو الكلِّي المشترك المقول بالتشكيك على أفراده الموجودة بوجودات مختلفة، كنفس مفهوم الذات لا أفرادها الخاصة له، فكما أن ذاته مجهول الكنه لنا، كذلك صفاته التي هي أفراد خاصة من المفاهيم المعلومة مجهولة لنا، محتجبة عن عقولنا، كما أنها محجوبة عن أبصارنا لشدة نُوريَّته وفرط ظهوره.

فبالجملة إن كثرة المعاني في الصفات مفهوماً، والاختلاف بينها إنما يتأتى من المناطق لها، بمعنى أنه إذا كان مناط كل صفة غير مناط صفة أخرى، وكان مثلاً مناط السمع غير مناط الإبصار، ومناط العلم غير مناطهما، ومناط كل منها غير مناط القدرة، وبالعكس، وكذلك في سائر الصفات، فذلك يستدعي الاختلاف، والتأليف، والتركيب والتعدد كما في المخلوقين.

وأما إذا لم يكن هناك إلا وحدة المعاني لوحدة المناطق لها، وصح أن

يكون مناط علمه هو مناط سمعه، ومناط سمعه هو مناط إبصاره، ومناط إبصاره هو مناط قدرته، وبالعكس، ولم يكن المناط في كل واحد من الصفات إلا هو بأكمله وذاته، فلا اختلاف، ولا تغاير بينها، ولا تعدد، ولا تكثر، ولا تركيب، ولا تأليف.

والاختلاف الظاهر في التعبير عند البيان عنها، إنما هو للتفهم والتفهم، إذ لا يتيسر إلا به، كما أن القول بأنه يعلم بذاته أو بأكمله وكذلك في سائر صفاته تستدعيه ضرورة التعبير.

وإلى هذا الإجمال يرشدنا ما في حديثي الكليني في الكافي: بإسناده عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في صفة القديم «إنه واحد صمد أحدي المعنى، ليس بمعان كثيرة مختلفة، قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر، ويبصر بغير الذي يسمع، قال: فقال: كذبوا وألحدوا، وشبهوا تعالى الله عن ذلك، إنه سميع بصير، يسمع بما يبصر، ويبصر بما يسمع، قال: قلت: يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه، قال: فقال تعالى الله، إنما يعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك»^(١).

وإسناده عن هشام بن الحكم، قال في حديث الزنديق الذي يسأل أبا عبد الله عليه السلام : أنه قال له: «أقول: إنه سميع بصير؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : هو سميع بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه، ويبصر بنفسه، وليس قولي: إنه سميع بنفسه أنه شيء والنفس شيء آخر، ولكني أردت عبارة عن نفسي، إذ كنت مسؤولاً، وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً، فأقول: يسمع بأكمله، لا أن كلاً له بعض، لأن الكل لنا (له) بعض، ولكن أردت إفهامك والتعبير عن نفسي، وليس

مرجعي في ذلك كله، إلا أنه السميع البصير، العالم الخبير بلا اختلاف الذات، ولا اختلاف معنى^(١).

وليعلم: أن الأشياء قبل تكوُّنها وتشخُّصها بالوجود الخارجي تقع متعلق الصفات الذاتية من العلم والسمع والبصر كما تتعلق بها بعد كونها، ووجوداتها الخارجية، مع كون الصفات حضورية لا حصولية، وذلك أن العلم عبارة عن مناط الانكشاف أعني ظهور الشيء على العالم ظهوراً هو وجوده العلمي وحصوله الانكشافي، فالأشياء بوجوداتها العلمية تكون بأسرها منكشفة عليه بمناطية ذاته لهذا الانكشاف، وهي برمتها محاطة به قبل كونها، ووجودها عيناً، كما هي منكشفة حاصلة في علمه بعد كونها بلا اختلاف وتفاوت في العلم، والانكشاف قبل الخلق وبعده، فلا يحصل بالحضور الوجودي زيادة في الانكشاف، ولا يحصل شيء لم يكن قبله، إنما اختلاف المعلوم بالوجود الخارجي وعدمه، كما لا يقع اختلاف في علمه تعالى باختلاف مراتب القدر والقضاء والإمضاء.

وليست الصور العلمية صادرة عنه صدور الأمور العينية، فتكون من أفعاله سبحانه وتعالى ويلزم وجودياً أزلياً معه كما زعمه قوم، إذ الصور العلمية توابع غير عينية لذات العالم، ولا تحصل لها عند الانكشاف لذي العلم، ولا حظٌّ لها من الوجود والحصول العينيَّ أبداً، ولا مسبوقية لها إلا بذات العالم، لكنها ليست في مرتبة ذاته.

فالأشياء بوجوداتها العلمية منكشفة لله تعالى بذاته، قبل وجوداتها العينية، وإذا تشخصت ووجدت في الخارج يقع العلم على المعلوم بوجوده العيني، والسمع كذلك على المسموع، والبصر كذلك على

المبصر، وإلى هذا أشار ما رواه الكليني في الكافي بإسناده، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاتها ولا مقدور فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور، قال: قلت: فلم يزل الله متحركاً؟ قال: فقال: تعالى الله عن ذلك، إن الحركة صفة محدثة بالفعل، قال: قلت: فلم يزل الله متكلماً؟ قال: فقال: إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية، كان الله عز وجل ولا متكلم»^(١).

وقد كثر في الحديث عن أئمة المذهب صلوات الله عليهم أن الله كان ولا شيء غيره، ولم يزل عالماً بما يكون، فعلمه به قبل كونه، كعلمه به بعد كونه، فالمولى سبحانه أدرك الأشياء جميعاً كلياتها وجزئياتها إدراكاً تاماً، وأحاط بها إحاطة كاملة قبل خلقها وبعده على شرع سواء^(٢)، ولم يزل عالماً بأن أي حادث يوجد في أي زمان من الأزمنة، وكم الفصل بينه وبين الحادث الذي يليه أو الذي سبقه، كما كان يعلم بأن كل شخص في أي جزء في المكان يوجد، وأي نسبة تكون بينه وبين ماعداه مما يقع في ست جهاته، وكم الأبعاد بين الأشياء، ولا يحكم هناك على شيء بأنه موجود أو معدوم، أو حاضر أو غائب، لأنه تعالى ليس بزمانى ولا مكاني بل هو بكل شيء محيط أزلاً وأبداً، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٣).

فعلمه تعالى بأن شيئاً وجد عين العلم الذي كان له تعالى بأنه سيوجد

(١) الكافي ج ١: ١٠٧.

(٢) راجع بعض ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في علم الله في الفصل الثالث التعليقة ١٧.

(٣) سورة البقرة / الآية ٢٥٥.

ولا تفاوت إلا في الإشارة إلى الموضوع، وهذا لا يؤثر تفاوت العلم بالقضية، ونفس هذا الفرق في الإشارة ترجع إلى تغير المعلوم لا العلم ولا يمكن القول بتعلق العلم بالأشياء بقيد الوجود العيني، وهو المنفي في صدر حديث حماد بن عيسى قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: لم يزل الله يعلم؟ قال: أنى يكون يعلم ولا معلوم، قال: قلت: فلم يزل الله يسمع؟ قال: أنى يكون ذلك ولا مسموع، قال: قلت: فلم يزل يبصر قال: أنى يكون ذلك ولا مبصر، قال: ثم قال: لم يزل الله عليمًا سميعًا بصيرًا، ذات علامة سمیعة بصيرة»^(١).

(١) التوحيد ص ١٣٩.

صفات الذات وصفات الفعل

يفرق بين الصفات بأمرين .

تارة بأن كل صفة وجودية تقابل أخرى وجودية فهي من صفات الأفعال، لأن الذاتية عين ذاته وذاته مما لا ضدّ له، كالرضا والسخط، والحب والبغض، واللطف والقهر، والتوفيق والخذلان، والولاية والعداوة من الصفات المتقابلة الواقعة في الوجود بكلا الطرفين، والصفات التي لا تقابلها وجودية أخرى، وليس مقابلها إلا النفي المحض والممتنع بالذات فهي ذاتية، كالعلم والقدرة والحكمة والعزة والحياة.

وتارة أخرى بأن كل صفة تتعلق بالقدرة وجوداً وعدمًا، فهي من صفات الأفعال، والتي لا تتعلق بها فهي ذاتية، مثلاً يجوز أن يقال: إنه يقدر أن يثيب ويعاقب ويقدر أن لا يثيب ولا يعاقب، ويقدر أن يحيي ويقدر أن يميت، ويهدي ويضل، ولا يجوز أن يقال يقدر أن يعلم وأن لا يعلم لأن أحد طرفيه واجب بالذات والآخر ممتنع، ومصحح المقدورية هو الإمكان.

العلم الإجمالي والتفصيلي:

وقد يُتصوّر للعلم مرحلتان بنحو من الإجمال والتفصيل فيشترك بهما بين صفات الذات وصفات الفعل، فإن المعلومات بوجوداتها العلمية وإن كانت معلومة بحدودها وصفاتها، لكن الانكشاف بوجوداتها الخارجية غير الانكشاف العلمي، فكأن الانكشافات الحادثة الوجودية هي تفصيلات للانكشاف العلمي وهو مجملها، ومن هنا يمكن فرض الحديث فيه ويصح التعبير بالنفي عنه قبل الانكشاف الوجودي باعتبار الاختلاف الواقع في المعلوم وهو المعني في:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ

جَاهِدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهِدُوا

مِنْكُمْ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾^(٦).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ﴾^(٧).

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران / الآية ١٤٢.

(٣) سورة آل عمران / الآية ١٤٠.

(٤) سورة المائدة / الآية ٩٤.

(٥) سورة التوبة / الآية ١٦.

(٦) سورة الكهف / الآية ١٢.

(٧) سورة سبأ / الآية ٢١.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾^(١).
وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾^(٢).

المشيئة الأزلية والمحدثة:

وكذلك تعتبر في المشيئة والإرادة جهتان: تُعَدُّ إحداها من صفات الذات، وتكون الأخرى من صفات الفعل كما سيقدر.

قال شيخنا الكليني في الكافي ج: ١، ١١١، بعد حديث «المشيئة محدثة».

«جملة القول في صفات الذات وصفات الفعل».

«إن كل شيئين وصفت الله بهما وكانا جميعاً في الوجود فذلك صفة فعل، وتفسير هذه الجملة: أنك تثبت في الوجود ما يريد وما لا يريد وما يرضاه وما يسخطه وما يحب وما يبغض، فلو كانت الإرادة من صفات الذات مثل العلم والقدرة كان ما لا يريد ناقضاً لتلك الصفة، ولو كان ما يحب من صفات الذات كان ما يبغض ناقضاً لتلك الصفة، الا ترى أننا لا نجد في الوجود ما لا يعلم وما لا يقدر عليه، وكذلك صفات ذاته الأزلي لسنا نصفه بقدرة وعجز، وعلم وجهل، وسفه وحكمة وخطأ، وعز وذلة ويجوز أن يقال: يحب من أطاعه ويبغض من عصاه، ويوالي من أطاعه ويعادي من عصاه وأنه يرضى ويسخط ويقال في الدعاء: «اللهم إرض عني ولا تسخط علي، وتولني ولا تعادني» ولا يجوز أن يقال: يقدر أن يعلم ولا يقدر أن لا يعلم، ويقدر أن يملك ولا يقدر أن لا يملك، ويقدر أن يكون عزيزاً حكيماً، ولا يقدر أن لا يكون عزيزاً حكيماً، ويقدر أن يكون جواداً ولا يقدر أن لا يكون جواداً، ويقدر أن يكون غفوراً ولا يقدر

(١) سورة الحديد / الآية ٢٥.

(٢) سورة محمد / الآية ٣١.

أن لا يكون غفوراً، ولا يجوز أيضاً أن يقال: أراد أن يكون ربّاً وقديماً وعزيزاً وحكيماً مالكاً وعالماً قادراً، لأن هذه من صفات الذات والإرادة من صفات الفعل، ألا ترى أنه يقال: أراد هذا ولم يرد هذا، وصفات الذات تنفي عنه بكل صفة منها ضدها، يقال: حيٌّ وعالم وسميع وبصير وعزيز وحكيم، غنيٌّ ملك، حلیم، عدل، كريم، فالعلم ضده الجهل، والقدرة ضدها العجز، والحياة ضدها الموت، والعزة ضدها الذلة، والحكمة ضدها الخطأ، وضد الحلم العجلة والجهل، وضد العدل الجور والظلم».

أقول: إنما تُعدُّ المشيئة والإرادة من صفات الفعل وتكون وجوداً وعدمًا متعلق النفي والإثبات، باعتبار من جهتها، وأما باعتبار جهتها الأخرى فهي من صفات الذات وجوبية وجوداً، ولا يمكن انتساب عدمها إليه تعالى.

والتوضيح: أن الله تعالى مشيئة أزليّة إجمالية هي عين ذاته، ومناطها هو مناط العلم الأزلي الإجمالي، غير أن مشيئته أحدية التعلُّق، وهي نسبة تابعة للعلم، كما أن العلم نسبة تابعة للمعلوم، ولا أثر للعلم في المعلوم، بل هي تابع للمعلوم، والحكم على المعلوم تابع له، فلا حكم من العلم على المعلوم إلا بالمعلوم، وهي معرفة صفات الأشياء، وحدودها متضمنة للعلم، بل هي إنشاؤها إنشاءً علمياً قبل اظهارها، وهي مصدر إراداته، كما ورد في حديث الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد قال: «سئل العالم عليه السلام كيف علم الله؟ قال: علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى، فأمضى ما قدر، وقدر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيئته كانت الإرادة، وإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء والعلم متقدم على المشيئة، والمشيئة

ثانية، والإرادة الثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء.
 فلله تبارك وتعالى البدء فيما علم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بدء، فالعلم بالمعلوم قبل كونه، والمشية في المنشأ قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات، ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذوي لون وريح ووزن وكيل، ومادب ودرج من إنس وجن وطير وسباع، وغير ذلك مما يدرك بالحواس، فلله تبارك وتعالى فيه البدء مما لا عين له فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بدء، والله يفعل ما يشاء، فبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وبالمشية عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها، وبالتقدير قدر أقواتها وعرف أولها وآخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنهم ودلّهم عليها وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها، وذلك تقدير العزيز العليم^(١).

فقسّم المولى سبحانه وتعالى بالمشية والإرادة الأزليتين عباده إلى قسمين، وإنما الغاية في أفاعيله التفصيلية إيصالها إلى كمالاتها وسوقها إلى غاياتها، فانقسمت الأفعال الصادرة عن قدرته تعالى وإرادته إلى قسمين: قسم ينساق به إلى الغاية والحكمة في إيجاد الشيء، وقسم يقف دون البلوغ إلى الغاية وكان لكل منهما نسبة إلى صفة القدرة والمشية، فاستعير لتسمية البالغ إلى الغاية اسم المحبوب، ولبلوغه إليه اسم السعادة كما استعير لتسمية الواقف دون غايته اسم المبعوض، ولحالته في الوقوف اسم الشقاوة، فمن سبقت له المشية في الأزل أن تستعمله القدرة الإلهية المودوعة في الذوات البشرية للانسباق إلى الغاية والارتقاء

إلى الدرجة القصوى، وفقه الله لذلك وهيأت له أسباب الوصول، ويكون ذلك توفيقاً وهداية ولطفاً ورضاً في حقه، ومن سبقت له المشيئة الأزلية بالانقطاع عن الغاية والاستيقاف به دون البلوغ إلى الحكمة، وذلك بتسليط الدواعي والبواعث عليهم، فيكون ذلك قهراً وخذلاناً وغضباً في حقهم وإضلالاً ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾^(١) وإلى بيان هذا المعنى أشير فيما رواه ثقة الإسلام الكليني عن علي بن محمد رفعه، عن شعيب العرقوفي، عن أبي بصير قال: «كنت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام جالساً وقد سأله سائل فقال: جعلت فداك يا ابن رسول الله من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتى حكم الله لهم في علمه بالعذاب على عملهم؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيها السائل حُكِمَ اللهُ بِكَرْرِكَ لا يقوم له أحد من خلقه بحقه فلما حكم بذلك وهب لأهل محبته القوة على معرفته، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهل، وهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم ومنعهم إطاعة القبول منه فوافقوا ما سبق لهم في علمه ولم يقدروا أن يأتوا حالاً تنجيهم من عذابه، لأن علمه أولى بحقيقة التصديق وهو معنى شاء ما شاء وهو سره»^(٢).

فهذا الحديث يصرّح بأن معنى المشيئة التي تتعلق بالأشياء كلها على نحو واحد إنما هو انكشافاتها التفصيلية في علم الله تعالى على صفاتها وحدودها وهي المراد من المشيئة الواردة في دعاء السجاد زين العابدين سلام الله عليه في صحيفته: «ابتدع بقدرته الخلق ابتداءً، واخترعهم على مشيئته اختراعاً، ثم سلك بهم طريق إرادته»^(٣).

وإلى هذه المشيئة والإرادة الأزلية أشير فيما رواه شيخنا الصدوق في

(١) سورة الأعراف / الآية ٣٠ .

(٢) الكافي ج ١: ١٥٣ .

(٣) الصحيفة السجادية، دعاؤه عليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله تعالى.

توحيده بالإسناد عن الإمام الكاظم سلام الله عليه في حديث: «لم تنزل له القدرة أنشأ ما شاء حين يشاء بمشيئته وقدرته»^(١).

وقد شاء الله تعالى بالمشيئة الحتمية أن لا يكون شيء إلا بعلمه على طبق ما في علمه ومشيئته بالنظام الأعلى، وما هو الخير والأصلح ولوازمهما، وهي المرادة في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٢) ممّن يعلم صلاحه للنبوّة والسفارة بينه وبين خلقه، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾^(٣) سواء أريد من الروح القرآن، أو كل كتاب أنزله على نبي من أنبيائه، أو الوحي، أو جبرئيل، أو النبوّة على اختلاف التفاسير. فإنّ كل هذه في علمه ومشيئته الأزلية المتعلقة بما هو الصالح، وهي المعنيّة في قوله تعالى: ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾^(٤). فقوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ بعد ذكر المشيئة يفسرها ويوضحها، ويعرب عن أن الأشياء والأفعال بأسرها محاطة بمشيئة الله تعالى، وعليه فليتوكل الموحّدون، كما توكل عليه شعيب في إيمانه في أن يثبت عليه، ويخلصه من الأشرار بحوله وقوته. وهذه المشيئة تتأخّر في الرتبة عن العلم الأزلي ويتلوه، وإن كانا بمناط واحد، وتسمى في لسان الحديث: بالذكر الأول، وبمشيئة العلم، وبابتداء الفعل، وبإرادة عزم.

فالأول: كما في حديث يونس بن عبد الرحمن، المروي عن أبي

(١) التوحيد: ١٤١.

(٢) سورة النحل / الآية ٢.

(٣) سورة غافر / الآية ١٥.

(٤) سورة الأعراف / الآية ٨٩.

الحسن الرضا عليه السلام قال: «يا يونس لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى، يا يونس تعلم ما المشيئة؟ قلت: لا، قال: هي الذكر الأول، فتعلم ما الإرادة؟ فقلت: لا، قال: هي العزيمة على ما يشاء، فتعلم ما القدر؟ قلت: لا، قال: هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء، قال: ثم قال والقضاء هو الإبرام وإقامة العين». الحديث^(١).

فالمراد بالذكر الأول هو علمه ومشيئته تعالى بنظام الخير، وهي غير زائدة على علمه بغيره، ونحن إذا علمنا أمراً مقدوراً لنا لم يكن علمنا سبباً لفعلنا له ما لم يحدث فينا شوق إليه، ثم إرادة جازمة هي العزم عليه، ثم تحريك لأعضائنا وهو تعالى ليس كذلك بل علمه مشيئته.

والتعبير الثاني: قد ورد في حديث الرضا عليه السلام، المروي في فقه الرضا، قال: قد شاء الله من عباده المعصية وما أراد، وشاء الطاعة وأراد منهم، لأن المشيئة مشيئة الأمر ومشية العلم، وإرادته إرادة الرضا، وإرادة الأمر أمر بالطاعة، ورضاً بها، وشاء المعصية يعني علم من عباده المعصية ولم يأمر بها^(٢).

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي ج ١: ١٥٧، عن علي بن إبراهيم عن أبيه، عن إسماعيل ابن مرار، عن يونس بن عبد الرحمان قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام: يا يونس لا تقل بقول القدرية فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول إبليس، فإن أهل الجنة قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وقال أهل النار: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين. وقال إبليس: رب بما أغويتني، فقلت: والله ما أقول بقولهم، ولكني أقول: لا يكون إلا بما شاء الله وأراد وقدّر وقضى، فقال: يا يونس ليس هكذا، لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى. يا يونس تعلم ما المشيئة؟ قلت: لا؟ قال: هي الذكر الأول، فتعلم ما الإرادة؟ قلت: لا، قال: هي العزيمة على ما يشاء، فتعلم ما القدر؟ قلت: لا، قال: هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء، قال: ثم قال: والقضاء هو الإبرام وإقامة العين. قال: فاستأذنته أن أقبل رأسه وقلت: فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة.

(٢) فقه الرضا: باب معرفة القضاء والمشيئة والارادة.

وهذا الحديث يقرئنا دروساً عالية في بيان المشيئة والإرادة وأزليتها وغير أزليتها، واختلاف معانيها باختلاف متعلقها، وأن هي في الطاعة غير التي في المعصية.

وأما التعبير عنها بابتداء الفعل فقد ورد في حديث الهاشمي قال: «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لا يكون شيء إلا ما شاء الله وقدر وقضى، قلت: ما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل، قلت: ما معنى قدر؟ قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه» الحديث^(١).

وفي محاسن البرقي بإسناده الصحيح عن يونس، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: «قلت: لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى فقال: لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى، قلت: فما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل، قلت: فما معنى أراد؟ قال: الثبوت عليه، قلت: فما معنى قدر؟ الحديث^(٢) وأحسب أن في الكافي سقطاً من الحديث.

ومعنى قوله عليه السلام ابتداء الفعل، يعني أول ما يحصل من جانب الفاعل ويصدر عنه، مما يؤدي إلى وجود المعلوم هو الوجود الإنشائي العلمي الذي يكون بالمشيئة، كما مر في حديث معلى بن محمد من قول العالم عليه السلام: «وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وانشأها قبل إظهارها» الحديث^(٣).

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي ج ١: ١٥٠، عن علي بن محمد بن عبد الله، عن أحمد ابن أبي عبد الله، عن أبيه، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن علي بن إبراهيم الهاشمي قال: «سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: لا يكون شيء إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى، قلت: ما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل، قلت: ما معنى قدر؟ قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه، قلت: ما معنى قضى؟ قال: إذا قضى أمضاه، فذلك الذي لا مرد له».

(٢) المحاسن ج ١: ٢٤٤، البحار ج ٥: ١٢٢. مسند الامام الرضا ج ١: ٢٠.

(٣) الكافي ج ١: ١٤٨.

فأول عالم من عوالم السير الوجودي هو عالم الإنشاء العلمي الذي أشير إليه في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(١).

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام كان مقدراً غير مذكور^(٢).

وفي المجمع كان شيئاً مقدوراً ولم يكن مكوّناً^(٣).

وفي المحاسن عن الباقر عليه السلام : كان شيئاً ولم يكن مذكوراً^(٤).

وفي المجمع عن الباقرين كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخلق^(٥).

وقد يطلق الخلق على هذا الإنشاء العلمي التقديري كما في حديث رواه شيخنا الصدوق في التوحيد عن أبي عبد الله عليه السلام : «إِنَّ اللَّهَ بَرَزَكَ خَلْقَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ، فَمَنْ عَلِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَعِيداً لَمْ يَبْغُضْهُ أَبَداً وَإِنْ عَمِلَ شَرّاً أَبْغَضَ عَمَلَهُ وَلَمْ يَبْغُضْهُ، وَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ شَقِيماً لَمْ يَحِبْهُ أَبَداً»^(٦).

فالمراد هو الخلق العلمي التقديري الإنشائي الذي يحصل بالمشيئة وهذا معنى قولهم عليه السلام : «أَفْعَالُ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ» كما فسر به في حديث رواه شيخنا الصدوق في العيون، بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «أَفْعَالُ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ، فَقُلْتُ لَهُ يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ: مَا مَعْنَى مَخْلُوقَةٌ؟ قَالَ:

(١) سورة الإنسان / الآية ١ / .

(٢) الكافي ج ١ : ١٤٧ .

(٣) مجمع البيان ج ١ : ٤٠٦ .

(٤) المحاسن ج ١ : ٢٤٣ .

(٥) مجمع البيان ج ١٠ : ٤٠٦ .

(٦) التوحيد: ٣٥٧، الكافي ج ١ : ١٥٢ .

مقدّرة^(١).

وفي الكتاب بإسناده عن الرضا عليه السلام فيما كتب عليه السلام للمأمون من محض الإسلام: «إن الله تبارك وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها وإن أفعال العباد مخلوقة لله خلق تقدير لا خلق تكوين، والله خالق كل شيء»^(٢). وفي التوحيد بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام: «إن أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين»^(٣).

وفي الكتاب بإسناده عن حمدان بن سليمان قال: «كتبت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن أفعال العباد أمخلوقة هي أم غير مخلوقة فكتب عليه السلام: «أفعال العباد مقدّرة في علم الله عزّ وجلّ قبل خلق العباد». الحديث^(٤).

فباعتبار تلك الأفعال المعلومة المقدّرة بالمشيئة، المكتوبة بقلم الإرادة، المنشأة بالمشيئة الأزلية، المخلوقة بوجوداتها العلمية عند علام الغيوب، اتّصف العباد من ذلك اليوم بالسعادة والشقاوة، وتوسّم بالحب والبغض، وبذلك يعرفون في جميع عوالمهم، من عالم المشيئة، إلى عالم الإرادة، إلى عالم التقدير، إلى عالم القضاء، إلى عالم الإمضاء، إلى الخلق التكويني، وعلى ذلك خلقوا، وعليه يموتون، وعلى ذلك يعودون إلى مولاهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٥).

وهو المعنى بقول النبي الأعظم صلوات الله عليه وآله «الشقي من

(١) عيون اخبار الرضا ج ١: ٢٤٥ ط النجف.

(٢) عيون اخبار الرضا: ج ١: ١٢٣ ط النجف.

(٣) التوحيد: ٤٠٧ و ٤١٦.

(٤) التوحيد: ٤١٦.

(٥) سورة الاعراف / الآية ٢٩-٣٠.

شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه»^(١).
وقد صرح بهذا البيان أبو الحسن موسى عليه السلام فيما رواه شيخنا الصدوق في التوحيد، بإسناده عن ابن أبي عمير قال: سألته عن معنى قول رسول الله ﷺ: «الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه، فقال عليه السلام: الشقي من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال الأشقياء، والسعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال السعداء»^(٢).

ولما كانت أفعال العباد ومنوباتهم ومصائرهم معلومة مقدرة مخلوقة بالوجودات التقديرية، ومنشأة بالإنشاء العلمي، وخلق كلاً في الوجود العيني الكوني العنصري على ما هو عليه في عوالمه العلمية وخلقه العلمي التقديري وهو هو في جميع عوالم سيره إلى الله تعالى، فمنهم من ولد للسعادة، ومنهم من ولد للشقاء، وكل صائرون إلى ما هو عليه في عوالمه السالفة كما يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه:

«ابتدع بقدرته الخلق ابتداءً، واخترعهم على مشيئته اختراعاً ثم سلك بهم طريق إرادته، وبعثهم في سبيل محبته، لا يملكون تأخيراً عما قدّمهم إليه، ولا يستطيعون تقدماً إلى ما أخرهم عنه»^(٣).

ويقول عليه السلام في دعاء آخر له: «ليت شعري أللشقاء ولدني أمي أم للعناء ربّتي، فليتها لم تلدني ولم تُربّي، وليتني علمت أمن أهل السعادة جعلتني، وبقربك وجوارك خصصتني، فتقرّ بذلك عيني،

(١) فصل القول في هذا البحث شيخنا الوالد رحمته الله في رسالته في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ

أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۚ فَأَصْحَبُ الِأَيْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الِأَيْمَنَةِ ۚ سورة الواقعة ٧-٨.

(٢) التوحيد ص ٣٥٦.

(٣) الصحيفة السجادية، دعاؤه عليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء بالتحميد.

وتطمئن له نفسي»^(١).

وإلى هذه المشيئة الأزلية المتعلقة بجميع الأشياء المحيطة بأفعال المكلفين كلها وتطابقها مع المشاء في الخارج، وتحقق الأفعال الاختيارية في الكون على ما شاء الله بمشيئته الأزلية التي تساوي علمه المقدس الأزلي أشير فيما رواه ثقة الإسلام الكليني، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعتة يقول: أمر الله ولم يشأ، وشاء ولم يأمر، أمر إبليس أن يسجد لآدم وشاء أن لا يسجد، ولو شاء لسجد، ونهى آدم عن أكل الشجرة وشاء أن يأكل منها ولو لم يشأ لم يأكل»^(٢).

وبالإسناد عن أبي الحسن عليه السلام قال: «إن لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى، وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاق ولم يشأ أن يذبحه ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى»^(٣).

وروى شيخنا الصدوق في توحيده الحديث الثاني باختلاف في بعض ألفاظه وأحسبه هو الصحيح ولفظه:

«إن لله إرادتين ومشيئتين إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك، ولو لم يشأ لم يأكلا، ولو أكلا لغلبت مشيئتهما مشيئة الله، وأمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام وشاء أن لا يذبحه، ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله عز وجل»^(٤).

(١) الصحيفة السجادية، «مناجاة الخائفين».

(٢) الكافي ج ١: ١٥٠.

(٣) الكافي ج ١: ١٥١.

(٤) التوحيد ص ٦٤. راجع تمام الحديث في الفصل الثالث التعليقة- ١٨.

فالحديثان يعربان عن أن هذه المشيئة لادخل لها في الأمر بالشيء والنهي عنه، ولاتأثير لها في المعلوم والمشاء، فإن الله نهى آدم عن أكل الشجرة وجعل له اختيار إرادة أي طرفي الفعل والترك، وشاء بمشيئته الأزلية أن يأكل، وأمر إبليس أمراً إيجابياً أن يسجد، وله الإرادة والاختيار في طرفيها وشاء أن لا يسجد، وأمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه بإرادته واختياره وشاء أن لا يذبح، يعني كان الله تعالى يعلم من كل منهم ما يصدر منه ويختاره بإرادته فطابق المشاء بالمشيئة، ووقع الأمر على مشيئته تعالى، ولو شاء خلاف ما وقع، يعني لو كان يعلم ويشاء بالمشيئة الأزلية خلاف ذلك لكان وقوع الأمر أيضاً على ما شاء الله، واختار كل بإرادته ما شاء الله وعلم، ولما غلبت مشيئتهم على ما شاء الله وما خالفها لإيجاب تطابق العلم بالمعلوم والمشيئة مع المشاء من دون أي أثر له في المعلوم، وإلاً لغلبت مشيئة العباد مشيئة الله تعالى ولزم الجهل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ويلوِّح هذا المعنى في المشيئة المتعلقة بأفعال العباد الحديث الذي أسلفناه عن الرضا سلام الله عليه قال: «قد شاء الله من عباده المعصية وما أَراد، وشاء الطاعة وأراد منهم لأن المشيئة مشيئة الأمر ومشية العلم وإرادته إرادة الرضا، وإرادة الأمر أمر بالطاعة ورضاً بها، وشاء المعصية يعني علم من عباده المعصية ولم يأمرهم بها» الحديث.

ويمكن القول بأن المراد من المشيئة في هذين الحديثين المشيئة المحدثة بمعنى إرادة اختيار بالمعنى الذي سنبينه لا بمعنى إرادة حتم، وهناك معانٍ أخر يمكن إرادة بعضها، وقد فصلها العلامة المجلسي^(١).

وقال شيخ الحديث الفيض الكاشاني في الوافي ج ١ ص ١١٥ في بيان

الحديث الأول: «سر هذا الكلام أن الله سبحانه وتعالى بالنسبة إلى عباده أمرين: أمراً إرادياً، إيجابياً، وأمراً تكليفياً، إيجابياً.

الأول بلا واسطة الأنبياء ﷺ، ولا يحتمل العصيان، والمطلوب منه وقوع المأمور به، ويوافق مشيئته تعالى طرداً وعكساً لا يتخلف عنها البتة، فيقع المأمور به لا محالة، وإليه أشير بقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

والثاني يكون بواسطة الأنبياء ﷺ والمطلوب منه قد يكون وقوع المأمور به، فيوافق مشيئته تعالى ويقع المأمور به من غير معصية فيه، كالأوامر التي كلف الله بها الطائعين.

وقد يكون نفس الأمر من دون وقوع المأمور به لحكم ومصالح ترجع إلى العباد، فهذا الأمر الذي لا يوافق المشيئة ولا الإرادة، يعني لم يشأ الله به وقوع المأمور به، ولا أَرادَه، وإن شاء الأمر به وأَرادَ وأمر ولذلك لم يقع المأمور به» انتهى.

لا يخفى أن هذا البيان صحيح في حد ذاته، ومحصله إن الله أمرين: تكوينياً لا يحتمل الخلف طرداً وعكساً، وتشريعياً وهو على قسمين: قسم يكون المطلوب منه وقوع المأمور به، وآخر يكون المطلوب منه نفس الأمر، لكن لا يتم في المقام، إذ قوله ﷻ: «وَشَاءَ أَنْ لَا يَسْجُدَ وَلَوْ شَاءَ لَسَجَدَ». وقوله: «وَشَاءَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا وَلَوْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَأْكُلْ» وقوله: «وَشَاءَ أَنْ لَا يَذْبَحَهُ» يعرب عن أن هناك مشيئة موجودة لله تعالى على خلاف ما أمر به ونهى عنه، والمشاء غير المأمور به، والمنهي عنه، لا أنه ليس هناك مشيئة بالنسبة إلى طرفي المأمور به من الفعل والترك، ولا دخل لطاعة المطيعين وعصيان العاصين في انقسام الأمر بما ذكر، ومطلوبية

وقوع المأمور به وعدمها، لا تتبع الطاعة والعصيان ولا العكس، وليس كل ما لم يقع المأمور به يحكم بعدم مطلوبيته ويعدّ من القسم الثاني وإن وقع يحكم به، ويعد من القسم الاول. وإلى تطابق المرادات كلها مع المشيئة الأزلية، ووقوع الأفعال بأسرها في الخارج على ما هي في مشيئته وعلمه تعالى نص سبحانه وتعالى في كتابه في موضعين بقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) وهو معنى ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

هذا إجمال القول في المشيئة الأزلية التي هي من صفات الذات.

المشيئة والإرادة المحدثة

هناك إرادة ومشية محدثة تتبع المشيئة الأزلية، وتسمى بالثبوت والعزم، كما مر في حديثي يونس بن عبد الرحمن، وتكون متعلق النفي والإثبات، وتعدّ من صفات الفعل، وهي المعنية في حديث محمد بن مسلم المروي في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المشيئة محدثة»^(٢). وهي المنفية أزليتها في حديث عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت لم يزل الله مريداً؟ قال: إن المريد لا يكون إلا المراد معه لم يزل الله عالماً قادراً ثم أراد»^(٣).

وهذه هي التي تغاير العلم وتخالفه، وهي المسؤول عنها في حديث بكر بن أعين المروي في الكافي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «عَلِمَ الله ومشيئته هما مختلفان أو متفقان؟ فقال: العلم ليس هو المشيئة. ألا ترى

(١) سورة التكويد / الآية ٢٩ / .

(٢) التوحيد: ٣٣٦.

(٣) الكافي: ج ١: ١٠٩.

أنك تقول: سأفعل كذا إن شاء الله ولا تقول: سأفعل كذا إن علم الله، فقولك إن شاء الله دليل على أنه لم يشأ فإذا شاء كان الذي شاء كما شاء وعلم الله السابق للمشيئة^(١).

ولما كانت الأشياء برمتها مقدرة بقلم هذه الإرادة، وهي محدثة بالمشيئة الأزلية المكتوبة في صحيفة العلم الأزلي، ولا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى وأمضى، وما لم يشأ لم يكن، فللموحد ربط إرادته بمشيئة مولاه، وإحالة أفعاله إليها، والإنباء عن إيجادها، لا بصورة القطع، بل بقيد التطابق بالمشيئة، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ (٣٢) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٢). قال الفراء: إن قوله تعالى: ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٣) بمعنى المصدر وتعلق بما تعلق به على ظاهره وتقديره ولا تقولنّ إنني فاعل شيئاً غداً إلا مشيئة الله.

ولكون هذه الإرادة أول مراحل الحدوث ومدارجها بالنسبة إلى جميع الأشياء فهي محدثة وراء المشيئة الأزلية، وتحدث بعدها التقدير، ثم القضاء، ثم الإمضاء والحكم، يسأل الإمام السجاد عليه السلام قضاء حوائجه بقوله في صحيفته: «واستجب لي جميع ما سألتك وطلبت إليك ورغبت فيه إليك وأرذه وقدره واقضه وأمضه، وخز لي فيما تقضي منه، وبارك لي في ذلك»^(٤).

وهذه المشيئة والإرادة إنما تحدث فينا عقيب الدواعي، وهو تصور الشيء الملائم تصوراً ظنياً، أو تخيلاً، أو علمياً، فإننا إذا أدركنا شيئاً فإن وجدنا ملاءمته أو منافرته لنا دفعة بالوهم أو ببديهة العقل انبعث منا

(١) الكافي: ج ١: ١٠٩.

(٢) سورة الكهف / الآية ٢٣-٢٤.

(٣) سورة الكهف / الآية ٢٤.

(٤) الصحيفة السجادية، دعاؤه عليه السلام يوم الأضحى والجمعة.

شوق إلى جذبه أو دفعه، وتأكد هذا الشوق هو العزم الجازم المسمى بالإرادة، وهي إذا انضمت إلى القدرة التي هي هيئة للقوة الفاعلة انبعثت تلك القوة لتحريك الأعضاء فيحصل الفعل.

وأما إرادة المولى سبحانه وتعالى فليست إلا الفعل إن كانت حتمية متعلقة بأفعاله تعالى، والأمر بالشيء والرضا له إن كانت عزيمة على التفصيل الآتي إن شاء الله تعالى.

وهذه الإرادة المحدثه هي المَعْنِيَّة من المشيئة في قوله تعالى: ﴿يَمَحُورُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١).

وفيما في تفسير علي بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٢) أي يقدر الله كل أمر من الحق ومن الباطل، وما يكون في تلك السنة، وله فيه البداء، والمشيئة، يقدم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء من الآجال والأرزاق، والبلايا والأعراض والأمراض، ويزيد فيها ما يشاء وينقص ما يشاء^(٣).

وهي المرادة فيما رواه الصفار في بصائر الدرجات في حديث عن أبي جعفر عليه السلام

قال: «إن الله تبارك وتعالى عالم بما غاب عن خلقه فما يقدر من شيء ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه وقبل أن يقضيه إلى الملائكة فذلك يا حمران علم موقوف عنده، إليه فيه المشيئة، فيقضيه إذا اراد»^(٤).

ومنها: ما في تفسير العياشي عن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام،

(١) سورة الرعد / الآية ٣٩ .

(٢) سورة الدخان / الآية ٤ .

(٣) تفسير القمي: ٦١٥ ط إيران.

(٤) بصائر الدرجات ج ٢: ١١٣، البحار ج ٤: ١١١ وفيه زيادة.

قال: «سألته عن قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾^(١) قال: المسمّى ما سُمّي لملك الموت في تلك الليلة، وهو الذي قال الله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٢) وهو الذي سمي لملك الموت في ليلة القدر، والآخر له فيه المشيئة إن شاء قدّمه وإن شاء أخره^(٣).

وفي رواية حمران الأخرى قال: «هما أجلان، أجل موقوف يصنع ما يشاء، وأجل محتوم»^(٤).

وفي رواية عنه: «وأما الأجل الذي غير مسمّى عنده فهو أجل موقوف يقدّم فيه ما يشاء ويؤخر فيه ما يشاء، وأما الأجل المسمّى فهو الذي يُسمّى في ليلة القدر»^(٥).

وروى العياشي، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾^(٦) قال: الأجل الذي غير مسمّى موقوف يقدّم منه ما شاء ويؤخر منه ما شاء، وأما الأجل المسمّى فهو الذي ينزل مما يريد أن يكون من ليلة القدر إلى مثلها من قابل قال: فذلك قول الله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٧) ونظير هذه من الأخبار كثيرة جداً.

(١) سورة الأنعام / الآية ٢ / .

(٢) سورة يونس / الآية ٤٩ / .

(٣) تفسير العياشي ج ١ : ٣٥٤ .

(٤) تفسير العياشي ج ١ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٥) تفسير العياشي ج ١ : ٣٥٥ .

(٦) سورة الأنعام / الآية ٢ / .

(٧) سورة الأعراف / الآية ٣٤ / والنحل / الآية ٦١ / . والحديث ذكره العياشي في تفسيره

ج ١ : ٣٥٤ .

إرادة تكوين وتشريع

هذه الإرادة والمشيئة المحدثة تتعلق بالأشياء كلها، لكن تعلّقها بها على أنحاء مختلفة، تختلف باختلاف متعلقاتها، فإنها إذا تعلقت بأفعال نفسه سبحانه يكون بمعنى الإيجاد والرضا بها، وتسمى بالإرادة التكوينية، وتكون بأمر إرادي إيجادي، وليس هناك قول وأمر ونهي، بل هي الخلق والإيجاد كما قال الإمام السجاد عليه السلام في دعائه: «فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة، وبإرادتك دون نهيك منزجرة»^(١).

ويصرّح بهذا ما رواه شيخنا الصدوق رحمته الله في توحيده وعيونه عن صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قلت: «أخبرني عن الإرادة من الله ومن المخلوق؟ قال: فقال: الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأما من الله بِرِزْوَانِهِ فإرادته إحداثه لا غير ذلك، لأنه لا يروّي، ولا يهّم، ولا يتفكّر، وهذه الصفات منفية عنه، وهي من صفات الخلق، فإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان، ولا همّة ولا تفكّر، ولا كيف لذلك، كما أنه بلا كيف»^(٢) ولا يُحتمل فيه العصيان والتخلف، وإنما المطلوب منه وقوع الأمور به، ويوافق مشيئته تعالى طرداً وعكساً لا يتخلف عنها البتة فيقع المراد لا محالة وهي المعنى بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣).

وإن تعلقت هذه الإرادة بما ليس من أفعال نفسه فتسمى بإرادة تشريعية. فإن كانت متعلقة بالطاعات تكون بمعنى الأمر بها والرضا لها

(١) الصحيفة السجادية، دعاؤه عليه السلام إذا عرضت له مهمة.

(٢) التوحيد: ١٤٧، عيون أخبار الرضا ج ١: ٩٧ ط النجف.

(٣) سورة النحل / الآية ٤٠ / .

وإن تعلقت بالمباحات تكون بمعنى الرخصة، وإذا تعلقت بالمعاصي تكون بمعنى النهي، وعدم المنع عنها بالجبر لتحقيق الابتلاء والتكليف، كما ورد في حديث يزيد بن عمير المروي في العيون بالإسناد عن الرضا عليه السلام قال: قلت له: «فهل لله بِرَزْكَانَ مشيئة وإرادة في ذلك فقال: أما الطاعات فإرادة الله ومشيتته فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيتته في المعاصي النهي عنها والسخط لها، والخذلان عليها، قلت: فله بِرَزْكَانَ فيها القضاء قال: نعم ما من فعل يفعل العباد من خير وشر إلا والله فيه قضاء، قلت: فما معنى هذا القضاء؟ قال: الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة»^(١).

وروى شيخنا الصدوق في توحيده عن حمزة بن حمران بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت: أصلحك الله فاني أقول: إن الله تعالى لم يكلف العباد الا ما يستطيعون وإلا ما يطيقون فإنهم لا يصنعون شيئاً من ذلك إلا بإرادة الله ومشيتته وقضائه وقدره، قال: هذا دين الله الذي أنا عليه وآبائي».

ثم قال الصدوق: «مشيئة الله وإرادته في الطاعات الأمر بها، وفي المعاصي النهي عنها، والمنع عنها بالزجر والتحذير» انتهى^(٢).

وهذا المعنى هو المراد من الإرادة الواردة في دعاء السجاد سلام الله عليه في صحيفته «ثم سلك بهم - يعني الخلق - طريق إرادته، يعني طريق أمره ونهيه».

وكذلك هي المعنية بالمعنى المذكور في قوله عليه السلام في صحيفته: «أتوب إليك من كل ما خالف إرادتك، أو زال عن محبتك من خطرات

(١) عيون أخبار الرضا ج ١: ١٠١، ١٠٢ ط النجف.

(٢) التوحيد: ٣٤٦.

قلبي».

وهذه عبارة مجملة يفصلها قوله الآخر في دعاء له ﷺ : «ثم أمرنا ليختبر طاعتنا، ونهانا ليمتلي شكرنا، فخالفنا عن طريق أمره، وركبنا متون زجره»^(١).

ولا تتعلق الإرادة الحتمية الإيجابية التي لا يتصور فيها الخلف طرداً وعكساً بما ليس من أفعال نفسه تعالى من الطاعات وغيرها من أفعال العباد، بل كلها مرادة بإرادة تشريع وإلا لزم الجبر ولزال التكليف.

نعم قد تعلقت إرادته التكوينية الحتمية بالأحكام من الأمر والنهي والرخصة وقد فعل ووقع الحكم على ما أراد ولا خلف، وإلى هذا المعنى أشير بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

يعني شاء الله بإرادة تشريع أن يطيعوا على وجه التطوع والإيثار لا على وجه الإكراه والاضطرار، وإلا لأمن الجميع، إذ لم يتصور خلف هناك، ثم بين تعالى لنبيه أني أنا أقدرُ على الإكراه منك ولكنه لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي، وإليه أشير أيضاً بقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾^(٣).

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٤).

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَن ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَن كَفَرَ﴾^(٥).

(١) جمل من دعائه ﷺ إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله.

(٢) سورة يونس / الآية ٩٩ .

(٣) سورة الأنعام / الآية ١١٢ .

(٤) سورة النحل / الآية ٩ .

(٥) سورة البقرة / الآية ٢٥٣ .

وإليه أشير أيضاً بقوله تعالى: ﴿إِنْ تَشَاءُ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(١).

وقد بين الله في كتابه العزيز أنه لم يشأ الشرك وكذب الذين أضافوا إليه ذلك فقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢) فأخبروا أنهم إنما أشركوا بمشيئة الله تعالى فلذلك كذبهم وقال: ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ﴾^(٣) يعني هل عندكم من علم أن الله يشاء الشرك ثم قال: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾^(٤).

وقال عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٥) خبر أن الرسل قد دعت إلى الايمان فلو كان الله تعالى شاء الشرك بإرادة حتم لكانت الرسل قد دعت خلاف ما شاء الله فعلمنا أن الكفر غير مراد بإرادة حتم كما أن الإيمان كذلك، ولو شاء الله ما أشركوا.

إرادة حتم وإرادة اختيار

إن جميع الأفعال وكل المتقابلات من الهداية والضلالة والإيمان والكفر والخير والشر والنفع والضرر والسوء والرحمة كلها منتهية إلى

(١) سورة الشعراء / الآية ٤ / .

(٢) سورة الأنعام / الآية ١٤٨ / .

(٣) سورة الأنعام / الآية ١٤٨ / .

(٤) سورة الأنعام / الآية ١٤٨ / .

(٥) سورة النحل / الآية ٣٥ / .

علم المولى سبحانه وتعالى ومشيتته وإرادته إما بالذات أو بالتبع، كتعلق إرادته ومشيتته إلى أفعاله تعالى، لكن يفرق بينهما بأن المشية والإرادة إن تعلقت بالطاعات وما يحبه المولى سبحانه فإنما هي بالذات ومعناها قد أسلفنا ذكره، وأما المتعلقة بالمعاصي والكفر والضرر والسوء ومالا يحبه فإنها تقع مرادة بالعرض والتبع، وهذه الإرادة والمشية تسمى بإرادة اختيار، ولا تنافي بين تعلق الإرادة والمشية بشيء وبين أن لا يحبه لأن تعلق المشية والإرادة بما لا يحبه بتعلقهما بوقوع ما يتعلق به إرادة العباد بإرادتهم وترتبه عليها، فتعلقهما بالذات بكونهم قادرين مريدين لأفعالهم وترتبها على إرادتهم، وتعلقها بما هو مرادهم بالتبع، ولا حجر في كون متعلقهما بالتبع شراً غير محبوب له، فإن دخول الشر ومالا يحبه في متعلق إرادته بالعرض جائز، فإن كل من تعلق مشيته وإرادته بخير وعلم لزوم شر له شريعة لا تقاوم خيريته فقد تعلقنا بذلك الشر بالعرض والتبع، وذلك التعلق بالتبع لا ينافي أن يكون المريد خيراً محضاً غير متصف بكونه شريراً ومحباً للشر.

وهذا التقسيم والبيان إنما يستفاد من حديث صالح النيلي المروي في الكافي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: «هل للعباد من الاستطاعة شيء؟ قال: فقال لي: إذا فعلوا الفعل كانوا مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم، قال: قلت: وما هي؟ قال: الآلة مثل الزاني إذا زنى كان مستطيعاً للزنا حين زنى، ولو أنه ترك الزنا ولم يزني كان مستطيعاً لتركه إذا ترك. قال ثم قال: ليس له من الاستطاعة قبل الفعل قليل ولا كثير، ولكن مع الفعل والترك كان مستطيعاً^(١)، قلت: فعلى ماذا يعذبه؟ قال: بالحجة البالغة والآلة التي ركبها [ركبها] فيهم، إن الله لم يجبر أحداً على

(١) قد فصلنا معنى الاستطاعة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ المؤلف.

معصيته، ولا أراد إرادة حتم الكفر من أحد، ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفر، وهم في إرادة الله وفي علمه أن لا يصيروا إلى شيء من الخير، قلت: أراد منهم أن يكفروا؟ قال: ليس هكذا أقول، ولكني أقول: علم أنهم سيكفرون، فأراد الكفر لعلمه فيهم وليست هي إرادة حتم إنما إرادة اختيار^(١).

فمحصل الجواب أن تعلق الإرادة بالكفر إنما هو بالعرض لا بالذات، بمعنى أنه لما أراد المولى سبحانه أن يعطي العبد إرادة واختياراً ويخليه واختياره، وهو أراد المعصية كأنه أراد ما أراد بالتبع والعرض إذ كان في علمه ومشيتته أن لا يصيروا إلى شيء من الخير باختيارهم وإرادتهم المؤثرة، ولما كان معهود ذهن السائل من الإرادة إرادة حتم وإيجاد وتوهم من الجواب الجبر فأوضح الإمام (سلام الله عليه) ببيان أقسام الإرادة بأن ليس مرادي ذلك المعهود، بل مرادي أن الله تعالى أراد بحسب مصلحة التكليف أن يَكِلَهُمْ إلى اختيارهم وإرادتهم، وعلم أن إرادتهم تتعلق بالكفر فتعلق إرادته بكفرهم من حيث تعلق إرادته بما يصير سبباً لإرادتهم الكفر مع علمه بذلك، وهذا لا يستلزم كون الكفر مقصوده ومطلوبه منهم، فإن دخوله في القصد بالعرض لا بالذات، وتعلق الإرادة بالكفر بالعرض ليست موجبة للفعل إيجاباً يخرج منه الاختيار، لأن هذا التعلق من جهة إرادتهم واختيارهم، وما يتعلق بشيء من جهة الإرادة والاختيار لا يخرج منه عن الاختيار ﴿فَرِيقًا هَدَى﴾^(٢) وحكم لهم بالاهتداء ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾^(٣) كل ذلك تبعاً لإرادة الفريقين من الهداية والضلالة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ

(١) الكافي ج ١: ١٦٢.

(٢) سورة الأعراف / الآية ٣٠.

(٣) سورة الأعراف / الآية ٣٠.

بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١﴾

فالهداية والإيمان والخير كلها مرادة له تعالى بالذات بالمعنى الذي أسلفناه يعني: أنه تعالى يريد بها بإرادة تكليف وإيجاب، لا بإرادة إيجاد وتكوين، ويحبها ويأمر بها وفيها رضاه، والكفر والشرُّ والضلالة مرادة له تعالى بالعرض والتبع، ولا ينافي مع إرادته ذلك أن يبغضه وينهى عنه ولا يرضى به.

ويعرب عن هذا ما رواه ثقة الإسلام في الكافي، عن فضيل بن يسار قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: شاء وأراد ولم يحب ولم يرضَ، شاء أن لا يكون شيء إلا بعلمه وأراد مثل ذلك ولم يحب أن يقال: ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر»^(١).

يعني شاء بالمشيئة الحتمية أن لا يكون شيء إلا بعلمه، وعلى طبق ما في علمه بالنظام الأعلى وما هو الخير والأصلح ولوازمها، وأراد ما أراد مثل ذلك الذي شاء وأراد، ولم يحب الشرور اللازمة التابعة للخير والأصلح، كأن يقال: ثالث ثلاثة، وأن يُكفر به ولم يرض ولم يأمر بهما، بل ينهى عنهما، والإرادة بالاختيار هي المرادة في قوله تعالى ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾^(٢).

ولو كانت الهداية والضلالة مرادة لله تعالى بالذات لما كان يختار الشر والضلالة على الهدى، كما لو كان يعلم الهداية من الجميع لكان يعطي كل نفس هداها: كما قال تعالى:

(١) سورة الأنعام / الآية ١١٧.

(٢) الكافي ج ١: ١٥١.

(٣) سورة الأنعام / الآية ١٢٥.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٣).

بل الله تعالى بيّن السبل وأمر بالخير وحذّر عن الشرّ وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٤).

فأرسل الرسل وأنزل الكتب وجاء منه نور ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥).

فَتَحَصَّلَ مما بيّناه أن إرادة الله تعالى الهداية والضلالة بمعنى التوفيق، والخذلان، والحب، والبغض، والقرب، والبعد، والنفع، والضرر، إنما تتبع إرادة المكلفين وتُحَصَّلُ كل نفس ما تستحقه وتقتضيه بإرادته واختياره، كما قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ﴾^(٦) والعنايات الإلهية وما يقابلها من آثار سخطه إنما تحقق على ما يختاره العبد من النجدين، بل هي نحو جزاء ومثوبة وعقاب على ما يرثيه العبد ويعمل به كالامهال والإملاء^(٧) الوارد في الكتاب الكريم ويعرب عن هذه كلها غير واحدة من الآيات منها:

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ

(١) سورة السجدة / الآية ١٣ .

(٢) سورة الأنعام / الآية ١٤٩ .

(٣) سورة النحل / الآية ٩ .

(٤) سورة الإنسان / الآية ٣ .

(٥) سورة المائدة / الآية ١٦ .

(٦) سورة الإسراء / الآية ٢٠ .

(٧) أمتى إملاء: طال عمره .

فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ﴿١٦﴾
وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ
الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾^(٢).
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ
يَعْمَهُونَ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ
ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾^(٤) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى
لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٦).
وقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^(٧).

وفي تفسير الإمام عليه السلام قال: «فمرضت قلوب القوم لما شاهدوا من
ذلك مضافاً إلى ما كان من مرض حسدهم له ولعلي بن أبي طالب فقال
الله عند ذلك في قلوبهم مرض أي في قلوب هؤلاء المتمردين الشاكين
الناكثين لما اخذت عليهم من بيعة علي فزادهم الله مرضاً بحيث تاهت له
قلوبهم جزاء بما آتاهم من هذه الآيات المعجزات»^(٨).

(١) سورة هود / الآية ١٥-١٦.

(٢) سورة آل عمران / الآية ١٤٥.

(٣) سورة الأنعام / الآية ١٠٨.

(٤) سورة النمل / الآية ٤.

(٥) سورة الإسراء / الآية ١٨-١٩.

(٦) سورة العنكبوت / الآية ٦٩.

(٧) سورة البقرة / الآية ١٠.

(٨) تفسير الإمام العسكري: ٤٤.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَسَهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(١).
 وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٢).
 ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَمَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(٣).

فالآية الشريفة تعرب عن أن ارادة الهلاك إنما بإرادة اختيار^(٤) وهي تتبع إرادة المترفين المعصية وفسقهم عن أمر ربهم، فجعل الأمر وعملهم مقدمة لتلك الإرادة، إذ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٦).
 فالله تبارك وتعالى كما يريد الهداية من الجميع بإرادة إيجاب وأمر ورضا، كذلك يريد الهداية والضلالة بإرادة اختيار، فريقاً هدى فأراد لهم الهداية، وفريقاً ضلَّ حق عليهم الضلالة كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾^(٧).

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ﴾^(٨).

-
- (١) سورة محمد / الآية ١٧ .
 (٢) سورة الحشر / الآية ١٩ .
 (٣) سورة الإسراء / الآية ١٦ .
 (٤) بعد كون المراد من الإرادة في الآية إرادة اختيار لا يبقى محل لتأويلات المفسرين في هذه الآية - المؤلف .
 (٥) سورة القصص / الآية ٥٩ .
 (٦) سورة الإسراء / الآية ١٥ .
 (٧) سورة التغابن / الآية ١١ .
 (٨) سورة غافر / الآية ٣٤ .

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

وقال تعالى:

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى:

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٣).

وقال تعالى:

﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾^(٤).

وعن الناس في هذه الآية: فيؤيد الله المؤمن بالملك فذلك قوله:

﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾^(٥).

وعن الكاظم عليه السلام:

«إن الله تبارك وتعالى أيد المؤمن بروح منه تحضره في كل وقت يحسن فيه ويتقي، وتغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي، فهي معه تهتز سروراً عند إحسانه، وتسيح في الثرى عند إساءته» الحديث^(٦).

(١) سورة غافر / الآية ٧٤ .

(٢) سورة البقرة / الآية ٢٦ .

(٣) سورة الزخرف / الآية ٣٦ .

(٤) سورة المجادلة / الآية ٢٢ .

(٥) روى الكليني في الكافي: ج ٢ / ٢٦٧، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من مؤمن إلا ولقلبه أذنان في جوفه: إذن ينث فيها الوسواس الخناس، وأذن ينث فيها الملك، فيؤيد الله المؤمن بالملك، فذلك قوله: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾».

(٦) أصول الكافي ج ٢: ٢٦٨، نور الثقلين ج ٥: ٢٦٩.

وقوله تعالى:

﴿إِنْ سَعَيْتُمْ لَشِقَىٰ ۖ ﴿٤﴾ فَمَا مَنَ أَعْطَىٰ وَانْفَىٰ ۖ ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ
لِلْيُسْرَىٰ ۖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ يُخَلِّ وَأَسْتَفَىٰ ۖ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۖ ﴿١٠﴾﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

الفصل الثالث

تكملة التعليقات

أحاديث السبع المثاني. حديث الرسول في شأن فاتحة الكتاب. أحاديث أم الكتاب. أحاديث أم القرآن. حديث الإمام العسكري(عليه السلام) في تفسير سورة الفاتحة. تفسير فاتحة الكتاب في كتاب أمير المؤمنين(عليه السلام) إلى ملك الروم. الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين(عليه السلام). مرض القلوب في روايات المعصومين. أحاديث الإيمان وأثره في الجوارح. حديث قدسي في صلاح العباد. حديث الإمام الصادق(عليه السلام) في إثبات الصانع. حديث المذهب الصحيح في التوحيد. خطبة أمير المؤمنين(عليه السلام) في الخليفة. احتجاج الإمام الرضا(عليه السلام) في التوحيد. صفات الله في حديث الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام). حديث الامام الصادق(عليه السلام) في النهي عن وصف الله تعالى بصفة المخلوقين. علم الله في أحاديث المعصومين. نفي التشبيه في حديث الإمام الرضا(عليه السلام). بيان في الإرادة والمشينة.

أحاديث «السبع المثاني»

في تفسير العياشي ج: ١، ٢٢، عن محمد بن مسلم، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم، فقال: فاتحة الكتاب [يُثْنَى فيها القول، قال: وقال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ مَنْ عَلَى بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ] من كنز الجنة، فيها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الآية التي يقول فيها: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا﴾^(١) و ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ دعوى أهل الجنة حين شكروا الله حسن الثواب، و ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال جبرئيل: ما قالها مسلم قط إلا صدقه الله وأهل سماواته، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إخلاص العبادة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أفضل ما طلب به العباد حوائجهم ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صراط الأنبياء، وهم الذين أنعم الله عليهم، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود، و ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ النصارى.

ورواه السيد البحراني في تفسير البرهان ج: ١، ٤٢ و ٥١، والمجلسي في البحار ج: ٩٢، ٢٣٧، والطبرسي في مجمع البيان ج: ٣١.

وعن يونس بن عبد الرحمن، عمن رفعه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: هي سورة الحمد

هي سبع آيات منها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وإنما سُمِّيَتِ المثنائي لأنها يثنى في الركعتين.

تفسير العياشي ج: ١، ١٩، البرهان ج: ١، ٤٢.

وعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كانت لك حاجة فاقراً «المثنائي» وسورة أخرى، وصل ركعتين، وادع الله قلت: أصلحك الله وما المثنائي؟ قال: فقال: فاتحة الكتاب، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين».

تفسير العياشي ج: ١، ٢١، البرهان ج: ١، ٤٢ وج: ٢، ٣٥٣، تفسير الصافي ج: ١، ٩١٢، البحار ج: ٩٢، ٢٣٦.

وروى العياشي في تفسيره ج: ٢، ٢٥١، عن السدي عن سمع علياً يقول: «سبعاً من المثنائي» فاتحة الكتاب.

وذكره السيد البحراني في البرهان ج: ٢، ٣٥٤، والمجلسي في البحار ج: ٩٢، ٢٣٦.

وعن محمد بن علي بن محبوب، عن العباس، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السبع المثنائي والقرآن العظيم أهى الفاتحة؟ قال: نعم، قلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من السبع المثنائي؟ قال: نعم، هي أفضلهن.

تهذيب الأحكام ج: ١، ٢١٨، نور الثقلين ج: ١، ٧. وسائل الشيعة ج: ٤.

حديث الرسول في شأن فاتحة الكتاب

روى الشيخ الصدوق في «عيون أخبار الرضا» ج ١: ٣٠١ قال: «حدثنا محمد بن القاسم المفسر المعروف بأبي الحسن الجرجاني رضي الله عنه قال: حدثنا يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن سيار، عن أبيهما، عن الحسن بن علي، عن أبيه علي بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه الرضا علي بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه الحسين بن علي، عن أخيه الحسن بن علي عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من فاتحة الكتاب وهي سبع آيات تمامها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ﻻ يَرْفَعُكَ قال لي: يا محمد: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ فأفرد الامتنان عليَّ بفاتحة الكتاب، وجعلها بإزاء القرآن العظيم، وإن فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإن الله ﻻ يَرْفَعُكَ خص محمدًا ﷺ وشرفه بها، ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان عليه السلام فإنه أعطاه منها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يحكي عن بلقيس حين قالت: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كُنْبٍ كَرِيمٍ﴾ (٢١) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد وآله

الطيبين، متقداً لأمرهما، مؤمناً بظاهرهما وباطنهما، أعطاه الله بكل حرف منها حسنة، كل واحدة أفضل له من الدنيا وما فيها من أصناف أموالها وخيراتها، ومن استمع إلى قارئ يقرأها كان له بقدر ما للقارئ فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعروض لكم، فإنه غنيمة لا يذهب أوانه، فتبقى قلوبكم في الحسرة».

البحار ج ٩٢: ٢٢٧، تفسير نور الثقلين ج ١: ٥.

أحاديث «أم الكتاب»

روى العياشي في تفسيره ج: ١: ١٩: بأسانيد عن الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: اسم الله الأعظم مقطّع في «أم الكتاب».

وذكره البحراني في تفسيره البرهان ج: ١: ٤١.

وعن عبد الملك بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن إبليس رن أربع رنات: أولهن يوم لُعِن، وحين هبط إلى الأرض، وحين بعث محمد صلى الله عليه وآله على فترة من الرسل، وحين أنزلت «أم الكتاب» الحمد لله رب العالمين، ونخر نخرتين: حين أكل آدم عليه السلام من الشجرة، وحين أهبط إلى الأرض قال: ولعن من فعل ذلك.

تفسير العياشي ج: ١: ٢٠، البرهان ج: ١: ٤٢، نور الثقلين ج: ١: ص ٣.
وذكره القرطبي في تفسيره ج: ١: ١٠٩، عن ابن الأنباري بسنده عن مجاهد.

وروى الصدوق رحمته الله في «ثواب الأعمال» ص ١٣٠ قال: أبي رحمته الله قال: حدّثني محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن حسان، عن إسماعيل بن مهران، قال: حدّثني الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني، عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: اسم الله الأعظم

مقطع في أم الكتاب.

وروى العياشي في تفسيره ج: ١، ٢٠، عن إسماعيل بن أبان يرفعه إلى النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لجابر بن عبد الله: يا جابر ألا اعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه؟ قال: فقال جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله علمنيها، قال: فعلمه الحمد لله «أم الكتاب» قال: ثم قال له: يا جابر، ألا أخبرك عنها؟ قال: بلى، بأبي أنت وأمي فأخبرني، قال: هي شفاء من كل داء إلا السام، يعني الموت.

وذكر هذا الحديث في البحار ج ٩٢: ٢٣٧، وفي وسائل الشيعة ج ٤: ٨٧٤، والبرهان ج ١: ٤٢، ومجمع البيان ج ١: ١٧-١٨.

وروى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره ج: ١، ٢٩، قال: وحدّثني أبي عن الحسين بن علي بن فضال، عن علي بن عقبة، عن أبي عبد الله قال: إِنَّ إبليسَ أَنَّ أنيناً لَمَّا بعث الله نبيّه ﷺ على حين فترة من الرسل، وحين أنزلت «أُمُّ الكتاب».

أحاديث «أم القرآن»

في دعوات الراوندي، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سمع بعض آبائي عليه السلام رجلاً يقرأ «أم القرآن» فقال: شكر وأجر، ثم سمعه يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال: آمن وأمن، ثم سمعه يقرأ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ فقال: صدق وغفر له، ثم سمعه يقرأ آية الكرسي فقال: بخ بخ، نزلت براءة هذا من النار^(١).

وعن أبي بن كعب أنه قال: قرأت على رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب فقال: والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة، والإنجيل ولا في الزبور، ولا في القرآن مثلها، هي «أم القرآن» وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بين الله، وبين عبده، ولعبده ما سأل^(٢).

وعن محمد بن أحمد بن يحيى، عن الحسين بن موسى الخشاب، عن غياث بن كلوب، عن إسحاق بن عمار، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام: أن رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ اختلفا في صلاة رسول الله ﷺ فكتبنا إلى أبي بن كعب كم كانت لرسول الله ﷺ من سكتة؟ فقال: كانت له سكتتان، إذا فرغ من «أم القرآن» وإذا فرغ من السورة.

(١) البحار ج ٩٢: ٢٦١.

(٢) البحار ج ٩٢: ٢٥٩.

تهذيب الأحكام ج ٨: ١٩٠، نور الثقلين ج ١: ٢١.
وروى الشيخ الطوسي رحمته الله في التبيان ج ١: ٢٢، عن النبي صلوات الله عليه وآله: أنه سماها «أم القرآن».

وفي «وسائل الشيعة» ج ٢: ٧٦٨، عن محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل نسي «أم القرآن» قال: إن كان لم يركع فليعد «أم القرآن».

وأخرج القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ج ١: ص ١٠٨ عن الترمذي، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله: ما أنزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل مثل «أم القرآن»، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بين الله وبين عبده، ولعبده ما سأل.

تفسير سورة الفاتحة في حديث الإمام العسكري (عليه السلام)

استدل شيخنا الوالد طاب ثراه في عدة موارد بما أُرث عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام في تفسير سورة الفاتحة. ولَمَّا في غضون ذلك من فوائد جَمَّة. آثرنا درج هذا الحديث بنصه وفصه.
قال عليه السلام :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

اللَّهُ: هو الذي يتَّأَلَّه إليه عند الحوائج والشدائد كلُّ مخلوق، وعند انقطاع الرجاء من كل من هو دونه، وتقطع الأسباب من جميع من سواه فيقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي أستعين على أموري كُلِّها بالله الذي لا تحق العبادة إلَّا له، المغِيث إذا استُغِيث، والمجيب إذا دعي.

قال الإمام عليه السلام : وهو ما قال رجل للصادق عليه السلام يا ابن رسول الله دُلَّنِي على الله ما هو؟ فقد أكثر المجادلون عليَّ وحِثْرُونِي. فقال الإمام عليه السلام : يا عبدالله هل ركبت سفينة قط؟ قال: بلى، فقال: هل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟ قال: بلى، قال: فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: بلى، قال الصادق عليه السلام : فذلك الشيء هو الله القادر على

الإنقاذ حين لا منجي، وعلى الإغاثة حين لا مغيث.

وقال الصادق عليه السلام : ولربما ترك في افتتاح أمر بعض شيعتنا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فيمتحنه (فامتحنه) الله بمكروه لينبئه على شكر الله والثناء عليه، ويمحو عنه فيه وصمة تقصيره عند تركه قول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾. ولقد دخل عبدالله بن يحيى على أمير المؤمنين وبين يديه كرسي فأمره بالجلوس عليه فمال به حتى سقط على رأسه فأوضح عن عظم رأسه وسال الدم، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بماء فغسل عنه ذلك الدم ثم قال: أدن مني، فدنا منه فوضع يده على موضحته وقد كان يجد من ألمها مالا صبر معه، ومسح يده عليها وتفل فيها فما هو إلا أن فعل ذلك حتى اندمل وصار كأنه لم يصبه شيء قط.

قال أمير المؤمنين عليه السلام : يا عبدالله الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحنتهم، لتسلم لهم طاعتهم، ويستحقوا عليها ثوابها بها.

فقال عبدالله بن يحيى: يا أمير المؤمنين، وإنا لا نجازي بذنوبنا إلا في الدنيا؟ قال: نعم، أما سمعت قول رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، إن الله يطهر شيعتنا من ذنوبهم في الدنيا بما يتليهم من المحن، وبما يغفر لهم، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ^(١).

حتى إذا وردوا القيامة، توفرت عليهم طاعاتهم وعباداتهم، وإن أعداء محمد ﷺ وأعداءنا يجازيهم على طاعة تكون منهم في الدنيا وإن كان لا وزن لها، لأنه لا إخلاص معها، حتى إذا وافوا القيامة حملت عليهم ذنوبهم وبغضهم لمحمد وآله وخيار أصحابه ففقدوا لذلك في النار.

(١) سورة الشورى / الآية ٣٠.

ولقد سمعت محمداً ﷺ يقول: إنه كان فيما مضى قبلكم رجلان أحدهما مطيع مؤمن لله، والآخر كافر به مجاهر بعداوة أوليائه وموالاة أعدائه ولكل واحد منهما مُلك عظيم في قطر من الأرض، فمرض الكافر فاشتبهى سمكة في غير أوانه لأن ذلك الصنف من السمك كان في ذلك الوقت في اللجج حيث لا يُقدر عليه فأيسه الأطباء من نفسه وقالوا: استخلف على ملكك من يقوم به فلست بأخلد من أصحاب القبور، فإن شفاءك في هذه السمكة التي اشتبهتها ولا سبيل إليها، فبعث الله ملكاً وأمره أن يزعم تلك السمكة إلى حيث يسهل أخذها، فأخذت له، فأكلها فبرأ من مرضه وبقي في ملكه سنين بعدها.

ثم إن ذلك (الملك) المؤمن مرض في وقت كان جنس ذلك السمك بعينه لا يفارق الشطوط التي يسهل أخذه منها مثل علة الكافر، فاشتبهى تلك السمكة، ووصفها له الأطباء وقالوا: طب نفساً فهذا أوانه تؤخذ لك فتأكل منها وتبرأ، فبعث الله ذلك الملك وأمره أن يزعم جنس تلك السمكة عن الشطوط إلى اللجج لئلا يقدر عليها، فلم يوجد حتى مات المؤمن من شهوته وبُعد دوائه.

فعجب من ذلك ملائكة السماء وأهل ذلك البلد في الأرض حتى كادوا يفتنون لأن الله تعالى سهل على الكافر مالا سبيل إليه، وعسر على المؤمن ما كان السبيل إليه سهلاً، فأوحى الله إلى ملائكة السماء وإلى نبي ذلك الزمان في الأرض، إني أنا الله الكريم المتفضل القادر، لا يضرني ما أعطي، ولا يُنقصني ما أمنع، ولا أظلم أحداً مثقال ذرة، فأما الكافر فإنما سهّلْتُ له أخذ السمكة في غير أوانها، ليكون جزاء على حسنة كان عملها، إذ كان حقاً علي ألا أبطل لأحد حسنة، حتى يرد القيامة ولا حسنة في صحيفته، ويدخل النار بكفره، ومنعت العابد تلك السمكة

بعينها، لخطيئة كانت منه فأردت تمحيصها عنه بمنع تلك الشهوة، وإعدام ذلك الدواء، وليأتيني ولا ذنب عليه فيدخل الجنة.

فقال عبدالله بن يحيى: يا أمير المؤمنين قد أفدتني وعلمتني، فإن (رأيت) أردت أن تعرفني ذنبي الذي امتحنت به في هذا المجلس حتى لا أعود إلى مثله، قال: تركك حين جلست أن تقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فجعل الله ذلك لسهوك عما نذبت إليه تمحيصاً بما أصابك، أما علمت أن رسول الله ﷺ حدثني عن الله عز وجل أنه قال: كل أمر ذي بال لم يذكر فيه ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ فهو أبتري؟ فقلت: بلى بأبي أنت وأمي لا أتركها بعدها، قال: إذا تحظى بذلك وتسعد.

ثم قال عبدالله بن يحيى: يا أمير المؤمنين، وما تفسير:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قال؟ إن العبد إذا أراد أن يقرأ أو يعمل عملاً فيقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي بهذا الاسم أعمل هذا العمل، فكل عمل يعمل به يتدئ فيه بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإنه يُبارك له فيه.

قال محمد بن علي الباقر عليه السلام: دخل محمد بن علي بن مسلم بن شهاب الزهري على علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وهو كئيب حزين فقال له زين العابدين عليه السلام: ما بالك مهموماً مغموماً؟ قال: يا ابن رسول الله! هموم وغموم تتوالى عليّ لما امتحنت به من جهة حساد نعمتي والطامعين فيّ، وممن أرجوه، وممن قد أحسنت إليه فيختلف ظني فقال له علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: احفظ عليك لسانك تملك به إخوانك.

قال الزهري: يا بن رسول الله! إنني أحسن إليهم بما يبدر من كلامي،

قال علي بن الحسين عليه السلام: هيهات، هيهات، إياك وأن تعجب من

نفسك بذلك، وإياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فليس كل من تسمعه نكراً يمكنك لأن توسعه عذراً.
ثم قال: يا زهري، من لم يكن عقله من أكمل ما فيه، كان هلاكه من أيسر ما فيه.

ثم قال: يا زهري، وما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك، فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك، وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك، وتجعل تربك منهم بمنزلة أخيك، فأَي هؤلاء تحب أن تظلم؟ وأي هؤلاء تحب أن تدعو عليه، وأي هؤلاء تحب أن تهتك ستره، وإن عرض لك إبليس لعنه الله بأن لك فضلاً على أحد من أهل القبلة، فانظر إن كان أكبر منك، فقل: قد سبقني بالإيمان والعمل الصالح، فهو خير مني، وإن كان أصغر منك، فقل: سبقته بالمعاصي والذنوب فهو خير مني، وإن كان تربك فقل: أنا على يقين من ذنبي، في شك من أمره، فمالي أَدع يقيني بشكي، وإن رأيت المسلمين يعظمونك ويوقرونك ويجلونك فقل: هذا فضل أخذوا به، وإن رأيت منهم جفاء وانقباضاً عنك فقل: هذا للذنوب أحدثته، فإنك إن فعلت ذلك، سهّل الله عليك عيشك، وكثّر أصدقاؤك وقلّ أعداؤك، وفرحت بما يكون من برّهم، ولم تأسف على ما يكون من جفائهم.

واعلم أن أكرم الناس على الناس من كان خيره فائضاً عليهم، وكان عنهم مستغنياً متعافياً، وأكرم الناس بعده عليهم من كان عنهم متعافياً وإن كان إليهم محتاجاً، فإنما أهل الدنيا يعشقون أموال الدنيا، فمن لم يراحمهم فيما يعشقونه كرم عليهم، ومن لم يراحمهم فيها ومكّنهم منها ومن بعضها، كان أعزّ عليهم وأكرم.

قال عليه السلام: ثم قام إليه رجل وقال: يا ابن رسول الله أخبرني ما معنى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

فقال علي بن الحسين عليه السلام: حدثني أبي، عن أخيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام

أن رجلاً قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ما معناه؟ فقال: إن قولك: ﴿اللَّهُ﴾ أعظم الأسماء من أسماء الله تعالى، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يتسمّى به غير الله، ولم يتسمّ به مخلوق، فقال الرجل: فما تفسير قوله:

﴿اللَّهُ﴾ قال: هو الذي إليه يتألّه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع من دونه، ويقطع الأسباب من كل من سواه، وذلك أن كل مترئس في الدنيا أو متعظم فيها، وإن عظم غناه وطغيانه، وكثرت حوائج من دونه إليه، فإنهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعظم، كذلك هذا المتعظم يحتاج حوائج لا يقدر عليها فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته، حتى إذا كفي همّه، عاد إلى شركه.

أما تسمع الله يَرْفَعُ يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ بل إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ فقال الله تعالى لعباده: أيها الفقراء إلى رحمتي! إني قد ألزمتكم الحاجة إليّ في كل حال، وذلة العبودية في كل وقت، إليّ فافزعوا في كل أمر تأخذون فيه، وترجون تمامه، وبلوغ غايته، فإني إذا أردت أن أعطيك لم يقدر غيري على منعكم، وإن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري على إعطائكم فأنا أحقُّ من سُئِلَ، وأولى من تُضَرَّعَ إليه، فقولوا عند افتتاح كل أمر عظيم أو صغير: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي أستعين على هذا الأمر بالله الذي لا تحق العباد

لغيره، المغيث إذا استُغيث والمجيب إذا دُعي، الرحمن الذي يرحم
بسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أدياننا ودنيانا وآخرتنا، خَفَّفَ الله علينا
الدين وجعله سهلاً خفيفاً، وهو يرحمنا بتميزنا عن أعدائه.

ثم قال: قال رسول الله ﷺ: من أحزنه أمر تعاطاه فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وهو يخلص لله، ويقبل عليه بقلبه إليه، لم ينفك عن
إحدى اثنتين، إما بلوغ حاجته الدنيوية، وإما ما يُعَدُّ له عنده ويدخره
لديه، وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين.

وقال الحسن بن علي عليه السلام: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:
وإنَّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات
تمامها بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
إن الله عزَّ وجلَّ قال لي: يا محمد: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ
الْعَظِيمَ﴾^(١) فأفرد الامتنان علي بفاتحة الكتاب، وجعلها بأزاء القرآن
العظيم، وإن فاتحة الكتاب أعظم وأشرف ما في كنوز العرش، وإن الله
خصَّ بها محمداً وشرفه ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه مما خلا
سليمان فإنه أعطاه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ألا تراه أنه يحكي عن
بلقيس حين قالت: ﴿إِنِّي أَنفَىٰ إِلَىٰ كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾^(٢) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(٣).

ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد وآله الطيبين، منقاداً لأمرهم،
مؤمناً بظاهرهم وباطنهم، أعطاه الله عزَّ وجلَّ بكل حرف منها حسنة كل
حسنة منها أفضل من الدنيا وما فيها، من أصناف أموالها وخيراتها ومن
استمع قارئاً يقرأها كان له قدر ثلث ما للقارئ، فليستكثر أحدكم من هذا

(١) سورة الحجر / الآية ٨٧.

(٢) سورة النمل / الآية ٢٩-٣٠.

الخير المعروض لكم، فإنه غنيمة لكم فلا يذهبن أوانه، فتبقى في قلوبكم الحسرة.

قوله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

قال الإمام **عَلَيْهِ السَّلَام**: جاء رجل إلى الرضا **عَلَيْهِ السَّلَام** فقال: يا بن رسول الله أخبرني عن قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ما تفسيره؟ قال **عَلَيْهِ السَّلَام**: لقد حدثني أبي، عن جدي، عن الباقر، عن أبيه زين العابدين **عَلَيْهِ السَّلَام** أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين **عَلَيْهِ السَّلَام** وقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ما تفسيره؟ فقال:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هو أن عَرَفَ الله عباده بعض نعمه عليهم جملاً، إذ لا يقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل، لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف فقال لهم: قولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما أنعم به علينا ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني مالك العالمين، وهم الجماعات من كل مخلوق، من الجمادات والحيوانات.

فأما الحيوانات، فهو يقلبها في قدرته، ويغذوها من رزقه، ويحيطها بكنفه، ويدبر كلا منها بمصلحته.

وأما الجمادات، فهو يمسكها بقدرته، يمسك ما اتصل المتصل منها أن يتهافت، ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويمسك الأرض أن تنخسف إلا بأمره إنه بعباده لرؤوف رحيم.

قال: و﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مالکهم وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم، من حيث يعلمون، ومن حيث لا يعلمون، فالرزق معلوم مقسوم، وهو يأتي ابن آدم على أي سيرة سارها من الدنيا، ليس تقوى متّي بزائده ولا

فجور فاجر بناقصه، وبينه وبينه شبر (ستر) وهو طالبه، ولو أن أحدكم يتربص رزقه لطلبه رزقه، كما يطلبه الموت.

قال: أمير المؤمنين فقال الله تعالى لهم: قولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما أنعم به علينا وذكّرنا به من خير في كتب الأولين من قبل أن نكون. ففي هذا إيجاب على محمد وآل محمد لما فضّله وفضّلهم، وعلى شيعتهم أن يشكروه بما فضّلهم، وذلك أن رسول الله ﷺ قال: لما بعث الله موسى بن عمران واصطفاه نجياً، وفلق البحر فنجّى بني إسرائيل، وأعطاه التوراة والألواح، رأى مكانه من ربّه بِرُؤْيَا فَقَالَ: ياربّ لقد كرّمتني بكرامة لم تكرّم بها أحداً قبلي، فقال الله بِرُؤْيَا: ياموسى أما علمت أن محمداً أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي.

قال موسى: يارب فإن كان محمد أفضل عندك من جميع خلقك، فهل في آل الأنبياء عندك أكرم من آلي؟.

قال الله تعالى: يا موسى أما علمت أن فضل آل محمد على جميع آل النبيين كفضل محمد على جميع المرسلين؟. فقال: يارب فإن كان فضل آل محمد عندك كذلك، فهل في صحابة الأنبياء أكرم عندك من صحابتي؟.

قال الله: ياموسى أما علمت أن فضل صحابة محمد على جميع صحابة المرسلين كفضل آل محمد على جميع آل النبيين وكفضل محمد على جميع المرسلين.

فقال موسى: يارب فإن كان محمد وآله وأصحابه كما وصفت، فهل في أمم الأنبياء أفضل عندك من أمتي؟ ظلّلت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المن والسلوى، وفلقت لهم البحر؟

فقال الله تعالى: ياموسى أما علمت أن فضل أمة محمد على جميع

الأمم كفضلي على جميع خلقي؟

قال موسى: يارب ليتني كنت أراهم.

فاوحى الله ﷻ إليه: يا موسى إنك لن تراهم، فليس هذا أو أن ظهورهم ولكن سوف تراهم في الجنة، جنات عدن والفردوس، بحضرة محمد، في نعيمها يتقبلون، وفي خيراتها يتبجحون، أفتحب أن أسمعك كلامهم؟ فقال: نعم يارب، قال: قم بين يدي، واشدد مثزرك قيام العبد الذليل بين يدي السيد المالك الجليل، ففعل ذلك، فنادى ربنا ﷻ: يا أمة محمد، فأجابوه كلهم، -وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم-: «ليبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك لبيك» قال: فجعل الله تعالى الإجابة منهم شعار الحج.

ثم نادى ربنا ﷻ يا أمة محمد إن قضائي عليكم، أن رحمتي سبقت غضبي، وعفوي سبق عقابي، فقد استجبت لكم من قبل أن تدعوني وأعطيتكم من قبل أن تسألوني، من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، صادق في أقواله، محق في أفعاله، وأن علي بن أبي طالب أخوه ووصيه من بعده ووليّه، يلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمد، وأن أولياءه المصطفين الأخيار المطهرين اللابسين بعجائب آيات الله، ودلائل حجج الله، من بعدهما أولياؤه أدخله جنتي وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر.

قال: فلما بُعث نبينا محمد ﷺ قال الله تعالى: يا محمد وما كنت بجانب الطور إذ نادينا أمتك بهذه الكرامة، ولكن رحمة من ربك، ثم قال الله ﷻ لمحمد ﷺ: قل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على ما خصني به من هذه الفضيلة. وقال لأمته: وقولوا أنتم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

على ما اختصنا به من هذا الفضل.

قوله **بِرَّحْمَنِ** **الرَّحِيمِ**.

قال الإمام **عليه السلام** : **«الرَّحْمَنُ** هو العاطف على خلقه بالرزق، لا يقطع عنهم مواد رزقه، وإن انقطعوا عن طاعته **«الرَّحِيمِ** بعباده المؤمنين، في تخفيفه عليهم طاعته، وعباده الكافرين في الرفق بهم في دعائهم إلى موافقته.

قال أمير المؤمنين: **«الرَّحْمَنُ** هو العاطف على خلقه بالرزق قال: ومن رحمته أنه لما سلب الطفل قوة النهوض والتغذي، فجعل تلك القوة في أمة، ورققها عليه لتقوم بتربيته، وحضنته، فإن قسا قلب أم من الأمهات أوجب تربية هذا الطفل وحضنته على سائر المؤمنين، ولما سلب بعض الحيوانات قوة التربية لأولادها، والقيام بمصالحها، جعل تلك القوة في الأولاد لتنهض حين تولد، وتسير إلى رزقها المسبب لها.

قال **عليه السلام** : وتفسير قوله **بِرَّحْمَنِ** **الرَّحِيمِ** أن قوله: الرحمن مشتق من (الرحمة) الرحم، سمعت رسول الله **ﷺ** يقول: قال الله **بِرَّحْمَنِ** أنا الرحمن وهي الرحم، شققت لها اسماً من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته، ثم قال علي **عليه السلام** : أو تدري ما هذه الرحم التي من وصلها وصله الرحمن، ومن قطعها قطعه الرحمن؟ فقل: يا أمير المؤمنين حث بهذا كل قوم أن يكرموا أقرباءهم، ويصلوا أرحامهم، فقال لهم: أيحسبهم على أن يوصلوا أرحامهم الكافرين، وأن يعظموا من حقره الله، وأوجب احتقاره من الكافرين؟ قالوا: لا، ولكنه حثهم على صلة أرحامهم المؤمنين.

قال: فقال: أوجب حقوق أرحامهم، لاتصالهم بأبائهم وأمهاتهم؟ قلت: بلى يا أخا رسول الله **ﷺ** قال: فهم إذاً إنما يقضون فيهم حقوق

الآباء والأمهات قلت: بلى يا أخا رسول الله، قال: وآباؤهم وأمهاتهم إنما غدوهم في الدنيا ووقوهم مكارهها، وهي نعمة زائلة، ومكروه ينقضي، ورسول ربهم ساقهم إلى نعمة دائمة لا تنقضي، ووقاهم مكروهاً مؤبداً لا يبيد، فأَي النعمتين أعظم؟ قلت: نعمة رسول الله ﷺ أجل وأعظم وأكبر، قال: فكيف يجوز أن يحث على قضاء حق من صغر الله حقه، ولا يحث على قضاء حق من كبر الله حقه، قلت: لا يجوز ذلك، قال: فإذا حث رسول الله ﷺ أعظم من حق الوالدين، وحق رحمه أيضاً أعظم من حق رحمهما، فرحم رسول الله ﷺ أيضاً أعظم وأحق من رحمهما، فرحم رسول الله ﷺ أولى بالصلة وأعظم في القطيعة.

فالويل كل الويل لمن قطعها، والويل كل الويل لمن لم يعظم حرمتها، أو ما علمت أن حرمة رحم رسول الله ﷺ حرمة رسول الله ﷺ، وأن حرمة رسول الله ﷺ حرمة الله، وإن الله أعظم حقاً من كل منعم سواه، فإن كل منعم سواه إنما أنعم حيث قيضه لذلك ربُّه ووفقه له. أما علمت ما قال الله لموسى بن عمران؟ قلت: بأبي أنت وأمي ما الذي قال له؟ قال: قال الله تعالى ياموسى: أتدري ما بلغت رحمتي إياك فقال موسى: أنت أرحم بي من أبي وأمي، قال الله: يا موسى وإنما رحمتك أمك لفضل رحمتي، فأنا الذي رفقتها عليك، وطبَّيت قلبها لتترك طيب وسنها لتربيته، ولو لم أفعل ذلك بها لكانت وسائر النساء سواء، ياموسى أتدري أن عبداً من عبادي مؤمناً يكون له ذنوب وخطايا تبلغ أعنان السماء فأغفرها له، ولا أبالي.

قال: ياربِّ وكيف لا تبالي؟ قال تعالى: لخصلة شريفة تكون في عبدي أحبُّها، وهو أن يحب إخوانه الفقراء المؤمنين، ويتعاهدهم، ويساوي نفسه بهم، ولا يتكبر عليهم، فإذا فعل ذلك غفرت له ذنوبه،

ولا أبالي.

يا موسى إن الفخر (العظمة) ردائي، والكبرياء إزارِي، فمن نازعني في شيء منهما عذِّبته بناري.

يا موسى إن من إعظام جلالِي إكرام عبدي الذي أنلته حظاً من حطام الدنيا، عبداً من عبادي مؤمناً، قصرت يده في الدنيا، فإن تكبر عليه فقد استخف بعظم جلالِي.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الرحم التي اشتقَّها الله من رحمته بقوله: أنا ﴿الرَّحْمَنُ﴾ هي رحم محمد عليه السلام، وإن من إعظام الله إعظام محمد، وإن من إعظام محمد إعظام رحم محمد، وإن كل مؤمن ومؤمنة من شيعتنا هو من رحم محمد، وإن إعظامهم من إعظام محمد عليه السلام، فالويل لمن استخف بشيء من حرمة محمد، وطوبى لمن عظمَّ حرمة، وأكرم رحمه، ووصلها.

قوله بِرَّحْمَتِي: ﴿الرَّحِيمِ﴾

قال الإمام عليه السلام: وأما قوله الرحيم معناه أنه رحيم بعباده المؤمنين ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلَّهم، بها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحن الأمهات من الحيوانات على أولادها، فإذا كان يوم القيامة، أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسعة وتسعين رحمة، فيرحم بها أمة محمد، ثم يشفعهم فيمن يحبون له الشفاعة من أهل الملة، حتى أن الواحد ليحيي إلى مؤمن من الشيعة فيقول: اشفع لي فيقول وأي حق لك عليّ؟ فيقول: سقيتك يوماً ماء فيذكر ذلك له، فيشفع له فيشفع فيه، ويجيئ آخر فيقول: إن لي عليك حقاً فاشفع لي، فيقول: وما حقك عليّ؟ فيقول: استظللت بظل جداري ساعة في يوم حار فيشفع له فيشفع فيه، ولا يزال يُشفع

حتى يشفع في جيرانه وخلطائه ومعارفه، فإنَّ المؤمن أكرم على الله ممَّا تظنون.

قوله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

قال الإمام **عليه السلام**: قادر على إقامة يوم الدين، وهو يوم الحساب، قادر على تقديمه عن وقته، وتأخيرهِ بعد وقته، وهو المالك أيضاً في يوم الدين، فهو يقضي بالحق لا يملك الحكم والقضاء في ذلك اليوم من يظلم ويجور، كما يجور في الدنيا من يملك الأحكام.

قال: وقال: أمير المؤمنين **عليه السلام** هو يوم الحساب، وقال: سمعت رسول الله **ﷺ** يقول: ألا أخبركم بأكيس الكيسين وأحمق الحمقى؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أكيس الكيسين من حاسب نفسه، وعمل لما بعد الموت، وأحمق الحمقى من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وكيف يحاسب الرجل نفسه، قال: إذا أصبح ثم أمسى رجع إلى نفسه وقال: يانفس إن هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً والله تعالى يسألك عنه فيما أفنيت، فما الذي عملت فيه؟ أذكرت الله أم حمدته؟ أقضيت حوائج مؤمن؟ أنفست عنه كربته؟ أحفظته بظهر الغيب في أهله وولده؟ أحفظته بعد الموت في مخلّفيه؟ أكففت عن غيبة أخ مؤمن بفضل جاهك؟ أأعنت مسلماً؟ ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه.

فإن ذكر أنه جرى منه خير حمد الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وكبّره على توفيقه وإن ذكر معصية أو تقصيراً استغفر الله **عَزَّ وَجَلَّ** وعزم على ترك معاودته، ومحا ذلك عن نفسه بتجديد الصلاة على محمد وآله الطيبين، وعرض بيعة أمير المؤمنين صلوات الله عليه على نفسه وقبوله لها، وإعادة لعن شائثيه

وأعدائه ودافعيه عن حقوقه، فإذا فعل ذلك قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: لست أناقشك في شيء من الذنوب مع مولاتك أوليائي، ومعاداتك أعدائي.

قوله **عَزَّوَجَلَّ**: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**

قال الإمام **عليه السلام**: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** قال الله تعالى: قولوا يا أيها الخلق المُنعم عليهم: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾** أيها المُنعم علينا، نطيعك مخلصين مع التذلل والخضوع، بلا رياء ولا سمعة **﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** منك نسأل المعونة على طاعتك لنؤديها كما أمرت، ونتقي من دنيانا ما عنه نهيت، ونعتصم من الشيطان الرجيم، ومن سائر مردة الجن والإنس من المُضِلِّين، ومن المؤذنين الظالمين، بعصمتك.

قال وسئل أمير المؤمنين **عليه السلام**: من العظيم الشقاء؟

قال: رجل ترك الدنيا للدنيا، ففاته الدنيا وخسر الآخرة، ورجل تعب واجتهد وصام رثاء الناس، فذلك الذي حرم لذات الدنيا، ولحقه التعب الذي لو كان به مخلصاً لا يستحق ثوابه، فورد الآخرة وهو يظن أنه قد عمل ما يثقل به ميزانه فيجده هباءً منثوراً.

قيل: فمن أعظم الناس حسرة؟

قال: من رأى ماله في ميزان غيره، فأدخله الله به النار وأدخل وارثه به الجنة.

قيل: فكيف يكون هذا؟

قال: كما حدّثني بعض اخواننا عن رجل دخل إليه وهو يسوق فقال له: يا أبا فلان ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق؟ قال: ما أدّيت منها، زكاة قط، ولا وصلت منها رحماً قط، قال: فقلت: فعلام جمعتها؟ قال: لجفوة السلطان، ومكاثرة العشيرة، وتخوف الفقر على العيال، ولروعة الزمان، قال: ثم لم يخرج من عنده حتى فاضت نفسه.

ثم قال علي عليه السلام : الحمد لله الذي أخرجنا منها مملوفاً مُلِماً بباطل جمعها، وفي حق منعها، جمعها فأوعاها، وشدها فأوكاها، قطع فيها المفاوز والقفار، ولجج البحار، أيها الواقف لا تُخدع كما تُخدع صويحبك بالأمس، إن أشد الناس حسرة يوم القيامة من رأى ماله في ميزان غيره، أدخل الله بِرَحْمَتِهِ هذا به الجنة، وأدخل هذا به النار.

قال الصادق عليه السلام : وأعظم من هذا حسرة يوم القيامة، رجل جمع مالاً عظيماً بكدٍ شديد، ومباشرة الأهوال، وتعرض الأخطار، ثم أفنى ماله في صدقات ومبرات، وأفنى شبابه وقوته في عبادات وصلوات وهو مع ذلك لا يرى لعلي بن أبي طالب عليه السلام حقه، ولا يعرف له في الإسلام محلّه، ويرى أنّ من لا يعشره ولا يعشر عشر معشاره أفضل منه عليه السلام، ويقف على الحجج فلا يتأملها، ويحتج عليه بالآيات والأخبار فيأبى إلا تمادياً في غيه، فذاك أعظم من كل حسرة، يأتي يوم القيامة وصدقاته ممثلة له في مثال الأفاعي تنهشه، وصلواته وعباداته ممثلة له في مثل الزبانية تتبعه، حتى تدعّه إلى جهنم دعاً.

يقول: يا ويلي! ألم أك من المصلّين؟ ألم أك من المزكّين؟ ألم أك عن أموال الناس ونسائهم من المتعففين؟ فلماذا ذهبت بما ذهبت؟ فيقال له: يا شقي ما نفعتك ماعملت، وقد ضيّعت أعظم الفروض بعد توحيد الله تعالى، والإيمان بنبوة محمد رسول الله ﷺ ضيّعت مالزمك من معرفة حق علي ولي الله، والتزمت ما حرّم الله عليك من الائتمام بعدو الله، فلو كان لك بدل أعمالك هذه عبادة الدهر من أوله إلى آخره، وبدل صدقاتك، الصدقة بكل أموال الدنيا بل بملء الأرض ذهباً، لما زادك ذلك من رحمة الله تعالى إلا بُعداً، ومن سخط الله بِرَحْمَتِهِ إلا قرباً

قال الإمام الحسن عليه السلام : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: قال

رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: ﴿وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على طاعتك وعبادتك، وعلى دفع شرور أعدائك، ورد مكائدهم، والمقام على ما أمرتنا به.

وقال ﷺ: عن جبرئيل، عن الله عز وجل: يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديته، فاسألوني الهدى أهدكم، وكلكم فقير إلا من أغنيت فاسألوني الغنى أرزقكم، وكلكم مذنب إلا من غفرته فاسألوني المغفرة أغفر لكم، ومن علم أنني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني بقدرتي، غفرت له ولا أبالي، ولو أن أولكم وآخركم، وحيكم وميتكم، ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على إنقاء قلب عبد من عبادي لم يزدوا في ملكي جناح بعوضة، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على إشقاء قلب عبد من عبادي لم ينقصوا من ملكي جناح بعوضة، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فتمنئ كل واحد منهم ما بلغت أمنيته فأعطيته لم يتبين ذلك في ملكي، كما لو أن أحدكم مرَّ على شفير البحر فغمس فيه إبرة ثم انتزعها، وذلك بأني جواد ماجد واجد، عطائي كلام، وعذابي كلام، فإذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون.

يا عبادي اعملوا أفضل الطاعات وأعظمها لأسامحكم وإن قصّرتم فيما سواها، واتركوا أعظم المعاصي وأقبحها لئلا أناقشكم في ركوب ماعداها، إن أعظم الطاعات توحيدني، وتصديق نبيّ، والتسليم لمن نصبه بعده، وهو عليّ بن أبي طالب والأئمة الطاهرين من نسله صلوات الله عليهم، وإن أعظم المعاصي عندي الكفر بي وبنبيّ، ومنازمة وليّ محمد بعده عليّ بن أبي طالب وأوليائه بعده.

فان أردتم أن تكونوا عندي في المنظر الأعلى، والشرف الأشرف فلا

يكوننَّ أحد من عبادي أثر عندكم من محمد، وبعده من أخيه علي، وبعدهما من أبنائهما القائمين بأمور عبادي بعدهما، فإن من كان ذلك عقيدته جعلته من أشرف ملوك جناني.

واعلموا أن أبغض الخلق إليّ من تمثل بي وادعى ربوبيتي، وأبغضهم إليّ بعده من تمثل بمحمد ونازعه نبوته وادّعاها، وأبغضهم إليّ بعده من تمثل بوصيّ محمد ونازعه محلّه وشرفه وادّعاها، وأبغضهم إليّ بعد هؤلاء المدّعين لما هُم به لسخطي متعرّضون، من كان لهم على ذلك منّ المعاوين، وأبغض الخلق إليّ بعد هؤلاء من كان يفعلهم من الراضين، وإن لم يكن لهم من المعاوين.

وكذلك أحب الخلق إليّ القوّامون بحقي، وأفضلهم لديّ، وأكرمهم عليّ محمّد سيّد الوري، وأكرمهم وأفضلهم بعده عليّ أخو المصطفى عليّ المرتضى، ثم بعده من القوّامين بالقسط من أئمة الحق، وأفضل الناس بعدهم من أعانهم على حقهم، وأحب الخلق إليّ بعدهم من أحبهم وأبغض أعداءهم، وإن لم يمكنه معاونتهم.

قوله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

قال الإمام **عليه السلام**: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ نقول: أدِّمْ لنا توفيقك الذي أطعناك في ماضي أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا. والصراط المستقيم، هو صِرَاطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو، وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، والطريق الآخر طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنة.

وقال جعفر بن محمد الصادق **عليه السلام**: قوله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ نقول: أرشدنا للصرط المستقيم، أي للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلغ إلى جنتك، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب ونأخذ بآرائنا فنهلك.

ثم قال: فإن من اتَّبَعَ هواه، وأعجب برأيه كان كرجل سمعتُ غشاء العامة تعظمه وتصفه، فأحببتُ لقاءه من حيث لا يعرفني، لأنظر مقداره ومحله، فرأيتَه في موضع قد أحرق له خلق من غشاء العامة فوقفت مستتراً عنهم، متغشياً بلثام شقيقه أنظر إليه وإليهم فما زال يراوهم حتى خالف طريقهم ففارقهم ولم يعد، ففترقت العامة لحوائجهم، وأتبعته أقتفي أثره فلم يلبث أن مرَّ بخباز فتغفله فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة، فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معامله، ثم مر بعده بصاحب رمان فما زال به حتى تغفله فأخذ من عنده حاجته إلى المسارقة، ثم لم أزل أتبعه حتى مر بمريض فوضع إليه الرغيفين والرمانين بين يديه ومضى وتبعته، حتى استقر في تبعة من صحراء، فقلت له: يا عبدالله لقد سمعت بك خيراً، وأحببت لقاءك فلقيتك، لكنتي رأيت منك ما شغل قلبي، وإني سائلك عنه ليزول به شغل قلبي، قال: ما هو؟ قلت: رأيتك مررت بخباز فسرقته منه رغيفين، ثم مررت بصاحب الرمان فسرقته منه رمانين، قال: فقال لي قبل كل شيء، من أنت؟ قلت له رجل من ولد آدم، من أمة محمد ﷺ، قال: لي ممن أنت؟ قلت: رجل من أهل بيت رسول الله ﷺ، قال: أين بلدك؟ قلت: المدينة، قال: لعلك جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب؟ قلت: بلى، قال لي: فما ينفعك شرف جدك، وأصلك، مع جهلك بما شرفت به، وتركك علم جدك وأبيك، لئلا تنكر ما يجب أن تحمد، وتمدح فاعله، قلت: وما هو؟ قال: القرآن كتاب الله، قلت: وما الذي جهلت منه؟ قال: قول

الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١). وإني لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين فهذه أربع سيئات، فلما تصدقت بكل واحدة منها كانت أربعين حسنة، فانتقص من أربعين حسنة أربع حسنات بأربع سيئات بقي لي ست وثلاثون حسنة، قلت: ثكلتك أمك، أنت الجاهل بكتاب الله، أما سمعت قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢) إنك لما سرقت رغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت رمانتين كانت سيئتين، ولما دفعتهما إلى غير صاحبهما بغير أمر صاحبهما كنت إنما أضفت أربع سيئات إلى أربع سيئات، ولم تضيف أربعين حسنة إلى أربع سيئات، فجعل يلاحظني، فتركته وانصرفت.

قال الصادق ع: بمثل هذا التأويل القبيح المستنكر يضلُّون ويضلُّون، وهذا تأويل معاوية عليه ما يستحق، لما قتل عمار بن ياسر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فارتعدت فرائص خلق كثير وقالوا: قال رسول الله ﷺ: عمار تقتله الفئة الباغية، فدخل عمرو بن العاص على معاوية، وقال: يا أمير المؤمنين، قد هاج الناس واضطربوا، قال: ولماذا؟ قال: لقتل عمار ابن ياسر، أليس قد قال رسول الله ﷺ: عمار تقتله الفئة الباغية؟ فقال له معاوية: رخصت في قولك، أنحن قلناه؟ إنما قتله علي بن أبي طالب لما ألقاه بين رماحنا، فاتصل ذلك بعلي فقال: فإذا رسول الله ﷺ هو الذي قتل حمزة لما ألقاه بين رماح المشركين.

ثم قال الصادق ع: طوبى للذين هم كما قال رسول الله ﷺ: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين،

(١) سورة الأنعام/ الآية ١٦٠.

(٢) سورة المائدة/ الآية ٢٧.

وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

فقال له رجل: يا بن رسول الله! إني عاجز بيدني عن نصرتكم، ولست أملك إلا البراءة من أعدائكم، واللعن عليهم، فكيف حالي؟
فقال له الصادق عليه السلام: حدّثني أبي، عن أبيه عن جده عليه السلام، عن رسول الله ﷺ أنه قال: من ضعف عن نصرتنا أهل البيت، ولعن في خلواته أعداءنا، بلغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش فكلما لعن هذا الرجل أعداءنا لعناً ساعدوه، ولعنوا من يلعنه، ثم ثنوه فقالوا: اللهم صلّ على عبدك هذا، الذي قد بذل مافي وسعه ولو قدر على أكثر منه لفعل، فإذا النداء من قبل الله ﻋَزَّ وَجَلَّ: قد أحبيت دعاءكم، وسمعت نداءكم، وصليت على روحه في الأرواح، وجعلته عندي من المصطفين الأخيار.

قوله ﻋَزَّ وَجَلَّ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

قال الإمام عليه السلام: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي قولوا: اهْدِنَا صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بالتوفيق لدينك وطاعتك، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾^(١).

وحكي هذا بعينه عن أمير المؤمنين عليه السلام: قال: ثم قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن، وإن كان كلُّ هذا نعمة من الله ظاهرة، ألا ترون أن هؤلاء قد يكونون كفاراً أوفساقاً؟ فما ندبتم بأن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم، وإنما أمرتم بالدعاء لأن ترشدوا إلى صراط الذين أنعم عليهم بالإيمان بالله، وتصديق رسول الله ﷺ وبالولاية لمحمد وآله الطيبين، وأصحابه الخيرين المنتجبين، وبالتقية الحسنة التي بها يُسلم

من شرّ عباد الله، ومن شر الزنادقة في أيام أعداء الله بكفرهم بأن تداريهم ولا تغريهم بأذاك ولا أذى المؤمنين، وبالمعرفة بحقوق الأخوان من المؤمنين.

فإنه ما من عبد ولا أمة والى محمداً وآل محمد وأصحاب محمد، وعادى من عاداهم إلا كان قد اتخذ من عذاب الله حصناً منيعاً، وجنة حصينة، وما من عبد ولا أمة دارى عباد الله بأحسن المداراة، ولم يدخل بها في باطل ولم يخرج بها من حق إلا جعل الله نفسه تسبيحاً وزكّى عمله، وأعطاه بصيرة على كتمان سرنا، واحتمال الغيظ لما يسمعه من أعدائنا وثواب المتشحّط بدمه في سبيل الله.

وما من عبد أخذ نفسه بحقوق إخوانه فوقاًهم حقوقهم جهده، وأعطاهم ممكنه، ورضي منهم بعفوهم، وترك الاستقصاء عليهم، فما يكون من زلهم غفرها لهم، إلا قال الله يَرْزُقْكَ له يوم القيامة: يا عبدي قضيت حقوق إخوانك، ولم تستقص فيما لك عليهم، فأنا أجود وأكرم وأولى بمثل ما فعلته من المسامحة والتكرم، فأنا أقضيك اليوم على حق وعدتك به، وأزيدك من فضلي الواسع، ولا استقصي عليك في تقصيرك في بعض حقوقي، قال: فيلحقه محمداً وآله وأصحابه، ويجعله من خيار شيعتهم.

ثم قال: قال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه ذات يوم: يا عبد الله أحب في الله، وأبغض في الله، ووال في الله وعاد في الله، فإنه لا ينال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد أحد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك، وقد صارت مواخاه الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا، عليها يتوأدون، وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً.

فقال الرجل: يا رسول الله، وكيف لي أن أعلم أنني قد واليت وعاديت

في الله، ومن ولي الله حتى أواليه؟ ومن عدوّ الله حتى أعاديه؟ فأشار له رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب ﷺ فقال: أترى هذا؟ قال: بلى، قال: وليّ هذا وليّ الله فواله، وعدوّ هذا عدوّ الله فعاده، ووالٍ وليّ هذا ولو أنه قاتل أبوك وولّدك، وعادٍ عدوّ هذا ولو أنه أبوك وولّدك.

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

قال أمير المؤمنين ﷺ: أمر الله عباده أن يسألوه طريق المُنعم عليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وأن يستعينوا من طريق المغضوب عليهم، وهم اليهود الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾^(١). وأن يستعينوا به عن طريق الضالين، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٢) وهم النصارى.

ثم قال أمير المؤمنين ﷺ: كلُّ من كفر بالله فهو مغضوبٌ عليه وضالٌّ عن سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

وقال الرضا ﷺ: كذلك، وزاد فيه: ومن تجاوز بأمر المؤمنين العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين.

تفسير الإمام العسكري ص ٩-٢٤ وذكره الشيخ المجلسي في البحار ج ٩٢: ٢٤٠-٢٥٧، باختلاف يسير في اللفظ

(١) سورة المائدة/ الآية ٦٠ .

(٢) سورة المائدة/ الآية ٧٧ .

تفسير فاتحة الكتاب في كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ملك الروم

من كتاب إرشاد القلوب فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى ملك الروم، حين سألته عن تفسير فاتحة الكتاب كتب إليه:

أما بعد، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، عالم الخفيات، ومنزل البركات ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى﴾ ﴿مَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَكَلا هَادِيَ لَهُ﴾.

ورد كتابك وأقرأني عمر بن الخطاب، فأما سؤالك عن اسم ﴿اللَّهِ﴾ تعالى فإنه اسم فيه شفاء من كل داء، وعون على كل دواء.

وأما ﴿الرَّحْمَنُ﴾ فهو عوذة لكل من آمن به، وهو اسم لم يُسمَّ به غير الرحمن تبارك وتعالى.

وأما ﴿الرَّحِيمِ﴾ فرحم من عصى وتاب، وآمن وعمل صالحاً.

وأما قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فذلك ثناء منّا على ربنا تبارك وتعالى بما أنعم علينا.

وأما قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فإنه يملك نواصي الخلق يوم القيامة، وكل من كان في الدنيا شاكاً أو جباراً أدخله النار، ولا يمتنع من عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ شك ولا جبار، وكل من كان في الدنيا طائعاً مديماً محافظاً إياه أدخله الجنة برحمته.

وأما قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فَإِنَّا نعبد الله ولا نشرك به شيئاً.
وأما قوله: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فَإِنَّا نستعين بالله بِرُحْمَتِهِ عَلَى الشيطان
الرجيم، لا يُضِلُّنَا كما أضَلَّكُمْ.
وأما قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فذلك الطريق الواضح، مَنْ عمل
في الدنيا عملاً صالحاً فإنه يسلك على الصراط إلى الجنة.
وأما قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فتلك النعمة التي أنعمها الله بِرُحْمَتِهِ
على من كان قبلنا من النبيين والصديقين، فنسأل الله ربنا أن ينعم علينا
كما أنعم عليهم.
وأما قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فأولئك اليهود بدلوا نعمة الله
كفراً، فغضب عليهم فجعل منهم القردة والخنازير، فنسأل الله تعالى أن
لا يغضب علينا كما غضب عليهم.
وأما قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَأنت وأمثالك يا عابد «الصليب الخبيث»
ضللتهم من بعد عيسى بن مريم، فنسأل الله ربنا أن لا يضلنا كما ضللتهم^(١).

«الصراط المستقيم» هو أمير المؤمنين (عليه السلام)

استدل شيخنا الوالد - طاب ثراه - في بحثه بآيات ورد فيها: «الصراط المستقيم» وقال: «إن هذه الآيات وردت فيها أحاديث كثيرة بأن المراد من «الصراط المستقيم» فيها هو أمير المؤمنين (عليه السلام) :
ولبيان ذلك نورد هنا نزراً من تلكم الأحاديث الماثورة في هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١)

أخرج ابن شهر آشوب في «المناقب» ج ٣: ٧٣، عن الباقرين (عليهما السلام) :
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قالوا: دين الله الذي نزل به جبرائيل على محمد:
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فهديتهم بالإسلام، وبولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ولم تغضب عليهم ولم يضلوا: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود والنصارى والشكاك الذين لا يعرفون إمامة أمير المؤمنين، و﴿الضَّالِّينَ﴾ عن إمامة علي بن أبي طالب.

وذكر في ج ٣: ٧٤، عن الحسن قال: خرج ابن مسعود فوعظ الناس

فقام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن اين ﴿الْصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فقال: ﴿الْصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ طرفه في الجنة وناحيته عند محمد وعلي، وحافته دعاة، فمن استقامت له الجادة أتى محمداً، ومن زاغ عن الجادة تبع الدعاة.

وروى الشيخ ابن بابويه في «معاني الأخبار» ص ٣٢ قال: حدثنا أبي - رَحِمَهُ اللهُ - قال: حدثنا محمد بن أحمد بن علي بن الصلت، عن عبدالله بن الصلت، عن يونس بن عبد الرحمن، عن ذكره، عن عبيد الله بن الحلبي، عن أبي عبدالله ع قال: ﴿الصرط المستقيم﴾ أمير المؤمنين علي ع.

وعنه أيضاً قال: حدثنا أحمد بن علي بن إبراهيم بن هشام - رَحِمَهُ اللهُ - قال: حدثنا أبي، عن جدي، عن حماد بن عيسى، عن أبي عبدالله ع في قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: هو أمير المؤمنين ع ومعرفته، والدليل على أنه أمير المؤمنين ع في قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلِئِنْ دَعَاكُمْ إِلَى ظُلْمٍ فَلْيُمْنُوا بِهِ﴾ وهو أمير المؤمنين ع في أم الكتاب في قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وذكر شيخنا الوالد - رَحِمَهُ اللهُ - في كتاب «الغدير» ج ٢: ٣١١ - ٣١٢، قال: أخرج الثعلبي في «الكشف والبيان» في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال مسلم بن حيان: سمعت أبا بريدة يقول: صراط محمد وآله.

وفي تفسير وكيع بن الجراح، عن سفيان الثوري، عن السدي، عن أسباط ومجاهد، عن عبدالله بن عباس في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: قولوا معاشر العباد أرشدنا إلى حب محمد وأهل بيته.

وأخرج الحموي في «الفرايد» بإسناده، عن أصبغ بن نباته، عن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ﴾^(١) قال: الصراط ولايتنا أهل البيت.

وأخرج الخوارزمي في «المناقب»: الصراط صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأما صراط الدنيا فهو علي بن أبي طالب، وأما صراط الآخرة فهو جسر جهنم، من عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة.

ويوضح معنى هذا الحديث ما أخرجه ابن عدي والديلمي كما في «الصواعق» ص ١١١، عن رسول الله ﷺ قال: «أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي».

وأخرج شيخ الإسلام الحموي بإسناده في «فرايد السمطين» في حديث، عن الإمام جعفر الصادق قوله: نحن خيرة الله، ونحن الطريق الواضح و﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى الله.

فهم الصراط إلى الله، فمن تمسك بهم فقد اتخذ إلى ربه سبيلاً كما ورد فيما أخرجه أبو سعيد في شرف النبوة بإسناده عن رسول الله ﷺ قال: أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا، فمن تمسك بنا اتخذ إلى ربه سبيلاً.^(٢)

وأخرج الشيخ ابن بابويه في «عيون الأخبار» ص ٣٥-٣٦ قال: حدثنا أبي - رحمته الله - قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، قال: حدثني ثابت الثمالي، عن سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال: ليس بين الله وبين حجته حجاب، فلا (ولا) لله دون حجته ستر، نحن أبواب الله ونحن

(١) سورة المؤمنون/ الآية ٧٤/.

(٢) «ذخائر العقبى ص ١٤»

﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سره.

وعنه قال: حدثنا الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي، قال: حدثنا فرات بن إبراهيم الكوفي، قال: حدثني محمد بن الحسن بن إبراهيم، قال: حدثنا ألوان بن محمد، قال: حدثنا حنان بن سدير، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: قوله يَرْزُقَنَّ في الحمد ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني محمداً وذريته صلوات الله عليهم.

وعنه - أيضاً - في «الأمال» ص ١٧٣، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن معروف، عن الحسين بن يزيد، عن اليعقوبي، عن عيسى بن عبدالله العلوي، عن أبيه، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه، عن جده عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من سره أن يجوز على الصراط كالريح العاصف، ويلج الجنة بغير حساب فليتلو وليي ووصيي وصاحبي وخليفتي على أهلي وأمتي علي بن أبي طالب، ومن سره أن يلج النار فليترك ولايته، فوعزة ربِّي وجلاله إنه لباب الله الذي لا يؤتى إلا منه، وإنه ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وإنه الذي يسأل الله عن ولايته يوم القيامة.

٢. قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١).

أخرج الشيخ ابن شهر آشوب في «المناقب» ج ٣: ٧٢، عن إبراهيم الثقفي بإسناده إلى أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ سألت الله أن يجعلها لعلّي ففعل.

وذكره الشيخ المجلسي في «البحار» ج ٣٥: ٣٦٤، والسيد البحراني في «غاية المرام» ج ١: ٢٤٧، عن «الروضة» لابن الفارسي.

وروى محمد بن الحسن الصفار، عن عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر، عن علي بن أسباط، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ قال: هو والله علي، هو والله الميزان والصراط^(١).

وأخرج الشيرازي، عن قتادة، عن الحسن البصري في قوله: ﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ قال: يقول: هذا طريق علي بن أبي طالب وذريته طريق مستقيم، ودين مستقيم فاتبعوه وتمسكوا به، فإنه واضح لا عوج فيه^(٢).

وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله بينما أصحابه عنده إذ قال - وأشار بيده إلى علي - هذا صراط مستقيم فاتبعوه^(٣).

وعن سعد، عن أبي جعفر عليه السلام : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ قال: آل محمد الصراط الذي دلّ عليه^(٤).

قال شرف الدين النجفي في تأويل الآيات الباهرة وذكر علي بن يوسف بن جبیر في كتابه نهج الإيمان قال: «الصراط المستقيم هو علي ابن أبي طالب في هذه الآية»^(٥).

وفي تفسير فرات الكوفي ص ٤٣، عن محمد بن الحسين بن إبراهيم

(١) غاية المرام ج ١: ٢٤٦، وج ٢: ٤٣٤، تفسير البرهان ج ١: ص ٥٦٣.

(٢) غاية المرام ج ٢: ٤٣٤.

(٣) غاية المرام ج ٢: ٤٣٥، تفسير البرهان ج ١: ٥٦٣.

(٤) تفسير العياشي ج ١: ٣٨٤، البحار ج ٢٤: ١٤.

(٥) تفسير البرهان ج ١: ٥٦٣.

معنعناً، عن أبي جعفر عليه السلام قال: حدّثنا أبو برزة قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال - وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام - «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»^(١). فقال رجل: أليس إنما يعني الله فضل هذا الصراط [هذا الإسلام] على ما سواه؟ فقال رسول الله ﷺ هذا جفاؤك يا فلان، أمّا قولك: فضل الإسلام على ما سواه فكذلك، وأمّا قول الله: «هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ» فإني قلت لربي مقبلاً عن غزوة تبوك الأولى: اللهم إني جعلت علياً بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة له من بعدي، فصدّق كلامي وأنجز وعدي، واذكر علياً بالقرآن كما ذكرت هارون، فإنك قد ذكرت اسمه في القرآن، فقرأ آية، فأنزل تصديق قولي فرسخ حسده من أهل هذه القبلية وتكذيب المشركين حيث شكّوا في منزلة علي عليه السلام فنزل: «هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ» وهو جالس عندي، فاقبلوا نصيحته، واقبلوا قوله، فإنه من سبّني فقد سب الله، ومن سبّ علياً فقد سبّني.

ورواه الشيخ المجلسي في البحار ج ٢٤: ١٤ وصدره: «محمد بن الحسن بن إبراهيم معنعناً، عن أبي برزة قال...»

وفي تفسير فرات الكوفي ص ٤٤ والبحار ج ٢٤: ١٥، عن جعفر ابن محمد الفزاري معنعناً، عن أبي مالك الأسدي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام أسأله عن قول الله تعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» إلى آخر الآية: قال: فبسط أبو جعفر عليه السلام يده اليسرى ثم دَوَّرَ فيها يده اليمنى، ثم قال: نحن صراطه المستقيم فاتّبعوه، ولا

تبعوا السبل ففرّق بكم عن سبيله يميناً وشمالاً، ثم خطّ بيده.
قال مصحح البحار: وفي حاشية نسخة الكمباني: هذا إشارة إلى أن
تعدد الأئمة عليهم السلام لا ينافي كونهم سبيلاً واحداً لاتحاد حقيقتهم النورية
وهياكلهم المعنوية، كما روي عنهم من كونهم نوراً واحداً، أولهم محمد
وآخرهم محمد، وكلهم محمد، وأما من يقابلهم عليهم السلام فكل منهم سبيل
على انفراده يدعو لنفسه دون غيره، فأحدهم يأخذ يميناً والآخر شمالاً،
فكل واحد منهم خط يقابل الآخر لاستحالة أن يكون الخطان واحداً
بخلاف الدائرة، لأن كل جزء منها يجوز أن يفرض أولاً وآخرأً ووسطاً
فهي متشابهة الأجزاء يجوز اتّصاف كل منها بصفة الآخر، فتدبر.

وفي تفسير فرات الكوفي ص ٤١ والبحار ج ٢٤: ١٥، عن جعفر بن
محمد الفزاري معنعنا، عن حمران قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول
في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾
قال: علي بن أبي طالب والأئمة من ولد فاطمة، هم صراط الله، فمن
أباهم سلك السبل.

٣. قوله تعالى: ﴿لَا قُعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١).

روى العياشي في تفسيره ج ٢: ٩، عن أبي بصير، عن أبي
عبدالله عليه السلام قال: الصراط الذي قال إبليس: ﴿لَا قُعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
﴿ثُمَّ لَا تَنبَهُهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية. وهو علي عليه السلام.

وذكره السيد البحراني في البرهان ج ٢: ٥، والمولى محسن الكاشاني
في تفسير الصافي ج ١: ٥٦٨.

٤. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^(٢).

(١) سورة الأعراف/ الآية ١٦.

(٢) سورة الشورى/ الآية ٥٢.

عن جعفر بن أحمد، عن عبدالكريم بن عبد الرحيم، عن محمد بن علي، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى لنبيه: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾^(١). يعني علياً، وعلي هو النور، فقال: ﴿تَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٢) يعني علياً، به هُدي من هُدي من خلقه، وقال الله لنبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣) يعني إنك لتأمر بولاية علي وتدعو إليها، وعلي هو الصراط المستقيم «صراط الله» يعني علياً الحديث^(٤).

وعن محمد بن همام، عن سعيد بن محمد، عن عباد بن يعقوب، عن عبدالله بن الهيثم، عن صلت بن الحر قال: كنت جالساً مع زيد بن علي فقراً: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: هُدي الناس ورب الكعبة إلى علي صلوات الله عليه، ضلَّ عنه من ضلَّ واهتدى به من اهتدى^(٥).

وروى الصفار، عن عبدالله بن عامر، عن أبي عبدالله البرقي، عن الحسن بن عثمان، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إنك لتأمر بولاية علي وتدعو إليها، وهو الصراط المستقيم^(٦).

٥- قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ﴾^(٧)

(١) سورة الشورى/ الآية ٥٢.

(٢) سورة الشورى/ الآية ٥٢.

(٣) سورة الشورى/ الآية ٥٢.

(٤) تفسير القمي ص ٦٠٦، البحار ج ٣٥: ٣٦٧، تفسير البرهان ج ٤: ١٣٣.

(٥) تفسير القمي ص ٦٠٦، البحار ج ٣٥: ٣٦٩، تفسير البرهان ج ٤: ١٣٤.

(٦) تفسير البرهان ج ٤: ١٣٣، غاية المرام ج ١: ٢٤٦.

(٧) سورة الحجر/ الآية ٤١.

سعد بن عبدالله قال: حدثنا موسى بن جعفر بن وهب البغدادي عن علي بن أسباط، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألت عن قول الله يَرْفَعُ: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: والله علي عليه السلام، وهو والله الميزان والصراط المستقيم^(١).

وأخرج أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن شاذان في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام المائة قال: الخامس والثمانون، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين قال: قام عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فقال: إنك لا تزال تقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وقد ذكر هارون في القرآن ولم يذكر علياً؟! فقال النبي: يا غليظ يا أعرابي إنك ما تسمع الله يقول: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ﴾

وعن أبي جميلة، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن أبي جعفر، عن أخيه عن قوله: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام^(٢).
٦- قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣).

روى الكليني في أصول الكافي ج ١: ٤١٦، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن النضر بن شعيب، عن خالد بن ماذ، عن محمد ابن الفضل، عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام: قال: أوحى الله إلى نبيه ﷺ ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: إنك على ولاية علي، وعلي هو الصراط المستقيم.

وذكره ابن شهر آشوب في المناقب ج ٣: ٧٤ وقال: ومعنى ذلك أن

(١) البحار ج ٣٥: ٣٦٣: تفسير البرهان ج ٢: ٣٤٤.

(٢) تفسير البرهان ج ٢: ٣٤٤.

(٣) سورة الزخرف/ الآية ٤٣/.

علي بن أبي طالب عليه السلام الصراط إلى الله كما يقال فلان باب السلطان إذا كان يوصل به إلى السلطان. ثم إن الصراط هو الذي عليه علي، يدلُّك - وضوحاً على ذلك - قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(١) يعني نعمة الإسلام، لقوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾^(٢) والعلم: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾^(٣) والذرية الطيبة لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾^(٤) الآية، وإصلاح الزوجات لقوله: ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ﴾^(٥) فكان علي عليه السلام في هذه النعم في أعلى ذراها.

وروى الكليني في «الروضة» بالأسانيد إلى جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: أوحى الله تعالى إلى نبيه: ﴿فَأَسْمِسْكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فقال: إلهي ما الصراط المستقيم؟ قال: ولاية علي بن أبي طالب فعلي هو الصراط المستقيم^(٦).

وأخرج الشيخ الثقة محمد بن العباس بن ماهيار في تفسيره قال: حدَّثنا علي بن عبدالله، عن إبراهيم بن محمد، عن علي بن هلال، عن الحسن بن وهب، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَسْمِسْكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ قال: في علي بن أبي طالب^(٧).

وروى الحافظ بن المغازلي الشافعي في كتابه «مناقب علي بن أبي طالب» - خ - قال: أخبرنا الحسن بن أحمد بن موسى الغندجاني، حدَّثنا

(١) سورة الفاتحة/ الآية ٧.

(٢) سورة لقمان/ الآية ٢٠.

(٣) سورة النساء/ الآية ١١٣.

(٤) سورة آل عمران/ الآية ٣٣.

(٥) سورة الأنبياء/ الآية ٩٠.

(٦) البحار ج ٣٥: ٣٦٧.

(٧) تفسير البرهان ج ٤: ١٤٥، غاية المرام ج ١: ٢٤٧.

هلال بن محمد الحفار، حدثنا إسماعيل بن علي، حدثنا أبي علي
 حدثنا علي بن موسى الرضا، حدثنا أبي موسى، حدثنا أبي جعفر،
 حدثنا أبي محمد بن علي الباقر، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:
 قال رسول الله ﷺ وإني لأدناهم - في حجة الوداع بمنى، حتى قال: لا
 ألفينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وإيم الله إن
 فعلتموها لتعرفني في الكتيبة التي تضاربكم، ثم التفت إلى خلفه ثم
 قال: أو علي أو علي ثلاثاً، فرأينا أن جبرائيل غمزه وأنزل الله عز وجل على
 أثر ذلك: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾^(١) بعلي بن أبي طالب
 ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾^(٢) ثم نزلت: ﴿قُلْ رَبِّ
 إِنَّمَا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ﴾^(٣) ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٤) ثم
 نزلت: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وإن علياً
 لعلم للساعة ﴿وَلِإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾^(٥) عن علي بن
 أبي طالب.

٧- قوله تعالى: ﴿أَفَنُيْمِشِي مُكْبَأً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَنُ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥)

روى الكليني في أصول الكافي ج: ١، ٤٣٣، عن علي بن محمد،
 عن بعض أصحابنا، عن ابن محبوب، عن محمد بن الفضيل، عن
 أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: قلت: ﴿أَفَنُيْمِشِي مُكْبَأً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى
 أَمَنُ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: إن الله ضرب مثل من حاد عن ولاية

(١) سورة الزخرف/ الآية ٤١.

(٢) سورة الزخرف/ الآية ٤٢.

(٣) سورة المؤمنون/ الآية ٩٣-٩٤.

(٤) سورة الزخرف/ الآية ٤٤.

(٥) سورة الملك/ الآية ٢٢.

عليّ كمن يمشي على وجهه لا يهتدي لأمره، وجعل من تبعه سوياً على صراط مستقيم، والصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام.

وعن محمد بن العباس، عن حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد ابن سماعة، عن صالح بن خالد، عن منصور بن حريز، عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: تلا هذه الآية وهو ينظر إلى الناس: ﴿أَفَنَ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: يعني والله علياً والأوصياء^(١)

وعن محمد بن يعقوب، عن علي بن الحسن، عن منصور بن حريز عن عبدالله، عن الفضيل قال دخلت مع أبي جعفر عليه السلام المسجد الحرام وهو متكئ عليّ فنظر إلى الناس ونحن على باب بني شيبه فقال: يا فضيل هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية لا يعرفون حقاً ولا يدينون ديناً، يا فضيل انظر إليهم فإنهم مكبّون على وجوههم لعنهم الله من خلق ممسوخ مكبين على وجوههم، ثم تلا هذه الآية: ﴿أَفَنَ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني والله علياً عليه السلام والأوصياء^(٢).

٨- قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣)

روى ابن شهر آشوب في المناقب ج ٣: ٧٤، عن علي بن عبدالله بن عباس، عن أبيه، وزيد بن علي بن الحسين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ يعني به الجنة ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني به ولاية علي بن ابي طالب عليه السلام. وهناك آيات وأحاديث كثيرة بهذا اللفظ والمعنى أعرضنا عنها، روماً للاختصار.

(١) كنز الفوائد ص ٢٤٥، غاية المرام ج ٢، ٤٣٥، تفسير البرهان ج ٤: ٣٦٣.

(٢) تفسير البرهان ج ٤: ٣٦٣. روضة الكافي: ٢٨٨.

(٣) سورة يونس/ الآية ٢٥/.

مرض القلوب في روايات المعصومين

روى الكليني، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن عبد الله بن محمد الحجال، عن بعض أصحابه رفعه، قال: قال رسول الله ﷺ: تذكروا وتلاقوا وتحادثوا فإن الحديث جلاء للقلوب، إن القلوب لترين كما يرين السيف جلاؤها الحديث «أصول الكافي ج: ١: ٤١».

وروى الصدوق في الخصال ج: ١: ١٨، عن الخليل، عن أبي العباس السراج، عن قتيبة، عن رشيد بن سعد البصري، عن شراحيل بن يزيد عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: إذا طاب قلب المرء طاب جسده، وإذا خبث القلب خبث الجسد.

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص ابن البختري، رفعه قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: روّحوا أنفسكم ببديع الحكمة، فإنها تكل كما تكل الأبدان. «الكافي ج: ١: ٤٨».

وقال عليه السلام: ألا وإن من البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن وأشد من مرض البدن مرض القلب، ألا وإن من النعم سعة المال وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب^(١).

وقال عليه السلام: إن للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً، فأتوها من قبل

شهوتها وإقبالها، فإن القلب إذا أكره عمي^(١).
وعنه عليه السلام قال: إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها
طرائف الحكمة «الحكم»^(٢).

وعن محمد بن موسى البرقي، عن علي بن محمد ماجيلويه، عن
البرقي عن أبيه، عن محمد بن سنان رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام
أنه قال: أعجب ما في الإنسان قلبه وله مواد من الحكمة، وأضداد من
خلافها، فإن سنج له الرجاء أذله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه
الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به
الغيظ، وإن سعد بالرضا نسي التحفظ، وإن ناله الخوف شغله الحذر،
وإن اتسع له الأمن استلبته الغرة، وإن جددت له النعمة أخذته العزة، وإن
أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن استفاد مالا أطغاه الغنى، وإن عضته
فاقة شغله البلاء وإن أجهدته الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط في الشبع
كظته البطنة، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط به مفسد^(٣).

(١) «نهج البلاغة ج ٤: ١٣٢»

(٢) «نهج البلاغة ج ٤: ١٠٣، ١٣٢»

(٣) «روضة الكافي: ٢١، البحار ٧٠: ٥٢»

أحاديث الإيمان وأثره في الجوارح

في الكافي ج ٢: ٢٨٥، عن ابن أبي عمير، عن علي بن الزيات، عن عبيد بن زرارَةَ قال: دخل ابن قيس الماصر وعمرو بن زرّ - وأظنّ معهما أبو حنيفة - على أبي جعفر عليه السلام فتكلم ابن قيس الماصر فقال: إنا لا نخرج أهل دعوتنا وأهل ملتنا من الإيمان في المعاصي والذنوب، قال: فقال له أبو جعفر عليه السلام: يا ابن قيس أما رسول الله ﷺ فقد قال: لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن، فاذهب أنت وأصحابك حيث شئت.

وفي ثواب الأعمال ص: ٣١٢، عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن صباح بن سيابة قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ف قيل له: يزني الزاني وهو مؤمن؟ قال: لا، إذا كان على بطنها سلب الإيمان منه «الحديث».

وفي الكافي ج ٢: ٢٨١ - في حديث طويل - قال: عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، رفعه، عن محمد ابن داود الغنوي، عن الأصبغ بن نباته قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين إن ناساً زعموا أنّ العبد لا يزني وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا

يأكل الربا وهو مؤمن، ولا يسفك الدم الحرام وهو مؤمن، فقد ثقل علي هذا وخرج منه صدري حين ازعم أن هذا العبد يصلي صلاتي ويدعو دعائي ويناكحني وأناكحه ويوارثني وأوارثه وقد خرج من الإيمان من أجل ذنب يسير أصابه، فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: صدقت سمعت رسول الله ﷺ «الحديث».

هذه الأحاديث تعاضد ما أثر عن المعصومين عليهم السلام من أن الإيمان مبثوث على الأعضاء والجوارح، ولكل منها إيمان يخص به وهي مسؤولة عنه، وما روي عن أبي عبد الله عليه السلام من قوله: «ملعون من قال: الإيمان قول بلا عمل»^(١) شاهد صدق على ذلك.

والروايات في إيمان الجوارح ومسؤوليتها مستفيضة متواترة، ومنها ما رواه الكليني - رحمته الله - في الكافي ج ٢: ٣٧ قال:

عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعاً، عن البرقي، عن النضر بن سويد، عن يحيى بن عمران الحلبي، عن عبيد الله بن الحسن، عن الحسن بن هارون قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢) قال: يُسأل السمع عما سمع، والبصر عما نظر إليه، والفؤاد عما عقد عليه.

وعنه في الكافي ج ٢: ٣٣-٣٧، قال:

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد قال: حدثنا أبو عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أيها العالم: أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما لا يقبل الله شيئاً إلا

(١) البحار ج ٦٩: ١٩.

(٢) سورة الإسراء/ الآية ٣٦.

به، قلت: وما هو؟ قال: الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو، أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسنها حظاً، قال: قلت: ألا تخبرني عن الإيمان، أقول هو وعمل أم قول بلا عمل؟ فقال: الإيمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل، بفرض من الله بيّن كتابه، واضح نوره، ثابتة حجّته، يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه، قال: قلت: صفه لي جعلت فداك حتى أفهمه، قال: الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التام المنتهي تمامه، ومنه الناقص البيّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه، قلت: إن الإيمان ليتم وينقص ويزيد؟ قال: نعم، قلت: كيف ذلك؟ قال: لأن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسّمه عليها وفرّقه فيها فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وُكّلت من الإيمان بغير ما وُكّلت به أختها، فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره، ومنها عيناه اللتان يبصر بهما، وأذناه اللتان يسمع بهما، ويداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللتان يمشي بهما، وفرجه الذي الباه من قلبه، ولسانه الذي ينطق به، ورأسه الذي فيه وجهه، فليس من هذه جارحة إلا وقد وُكّلت من الإيمان بغير ما وُكّلت به أختها بفرض من الله تبارك اسمه، ينطق به الكتاب لها ويشهد به عليها.

ففرض على القلب غير ما فرض على السمع، وفرض على السمع غير ما فرض على العينين، وفرض على العينين غير ما فرض على اللسان، وفرض على اللسان غير ما فرض على اليدين، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين، وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه.

فأمّا ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، لم

يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله صلوات الله عليه وآله، والإقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب، فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة، وهو عمله وهو قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَن أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مِّن شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾^(١) وقال: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢).

وقال: ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾^(٣). وقال: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِر لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤) فذلك ما فرض الله عَزَّوَجَلَّ على القلب من الإقرار والمعرفة وهو عمله، وهو رأس الإيمان.

وفرض الله على اللسان القول والتعبير عن القلب، بما عقد عليه وأقر به، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٥). وقال: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٦).

فهذا ما فرض الله على اللسان وهو عمله، وفرض على السمع أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرَّم الله وأن يعرض عما لا يحل له ممَّا نهى الله عَزَّوَجَلَّ عنه، والإصغاء إلى ما أسخط الله عَزَّوَجَلَّ فقال في ذلك: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ

(١) سورة النحل / الآية ١٠٦ / .

(٢) سورة الرعد / الآية ٢٨ / .

(٣) سورة المائدة / الآية ٤١ / ، نص الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي

الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾

(٤) سورة البقرة / الآية ٢٨٤ / .

(٥) سورة البقرة / الآية ٨٣ / .

(٦) سورة العنكبوت / الآية ٤٦ / .

عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴿١﴾.

ثم استثنى الله ﷻ موضع النسيان فقال: ﴿وَأَمَّا يُنْسِينَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢).

وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٣).

وقال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (٤).

وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (٥).

وقال: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٦).

فهذا ما فرض الله على السمع من الإيمان أن لا يصغي إلى ما لا يحل له وهو عمله وهو من الإيمان.

وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله عليه وأن يعرض عما نهى الله عنه، مما لا يحل له وهو عمله وهو من الإيمان، فقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٧).

(١) سورة النساء/ الآية ١٣٩.

(٢) سورة الأنعام/ الآية ٦٨.

(٣) سورة الزمر/ الآية ١٧-١٨.

(٤) سورة المؤمنون/ الآيات ١-٥.

(٥) سورة القصص/ الآية ٥٥.

(٦) سورة الفرقان/ الآية ٧٢.

(٧) سورة النور/ الآية ٣٠.

فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم وأن ينظر المرء إلى فرج أخيه ويحفظ فرجه أن ينظر إليه، وقال: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾^(١) من أن تنظر إحداهن إلى فرج أختها، وتحفظ فرجها من أن يُنظر إليه وقال: كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذه الآية، فإنها من النظر، ثم نظم ما فرض على القلب، واللسان، والسمع والبصر في آية أخرى فقال: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾^(٢). يعني بالجلود: الفروج والأفخاذ وقال: ﴿وَلَا نَقُفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٣) فهذا ما فرض الله على العينين من غضّ البصر عما حرم الله بِزَيْنَ وهو عملهما وهو من الإيمان.

وفرض الله على اليدين أن لا يبطش بهما إلى ما حرم الله، وأن يبطش بهما إلى ما أمر الله بِزَيْنَ، وفرض عليهما من الصدقة، وصلة الرحم، والجهاد في سبيل الله، والطهور للصلاة، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(٤).

وقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا اَتَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَمَا مَتَابَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(٥).

فهذا ما فرض الله على اليدين لأن الضرب من علاجهما.

وفرض على الرجلين أن لا يمشي بهما إلى شيء من معاصي الله

(١) سورة النور/ الآية ٣١ / .

(٢) سورة فصلت/ الآية ٢٢ / .

(٣) سورة الإسراء/ الآية ٣٦ / .

(٤) سورة المائدة/ الآية ٦ / .

(٥) سورة محمد/ الآية ٤ / .

وفرض عليهما المشي إلى ما يرضي الله عَزَّوَجَلَّ فقال: ﴿وَلَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾^(١).
وقال: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْصِضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(٢).

وقال فيما شهدت الأيدي والأرجل على أنفسهما وعلى أربابهما من تضييعهما لما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به وفرضه عليهما: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣).
فهذا أيضاً مما فرض الله على اليدين وعلى الرجلين وهو عملهما وهو من الإيمان..

وفرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلاة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤).
فهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين.

وقال في موضع آخر: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٥).
وقال فيما فرض على الجوارح من الطهور والصلاة بها وذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ لما صرف نبيه ﷺ إلى الكعبة عن البيت المقدس فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٦) فسمى الصلاة إيماناً فمن لقي الله عَزَّوَجَلَّ حافظاً لجوارحه موفياً كل جارحة من

(١) سورة الإسراء/ الآية ٣٧.

(٢) سورة لقمان/ الآية ١٩.

(٣) سورة يس/ الآية ٦٥.

(٤) سورة الحج/ الآية ٧٧.

(٥) سورة الجن/ الآية ١٨.

(٦) سورة البقرة/ الآية ١٤٣.

جوارحه ما فرض الله عَزَّوَجَلَّ عليها، لقي الله عَزَّوَجَلَّ مستكملاً لإيمانه، وهو من أهل الجنة، ومن خان في شيء منها، أو تعدى ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ فيها، لقي الله عَزَّوَجَلَّ ناقص الإيمان.

قلت: قد فهمت نقصان الإيمان وتمامه، فمن أين جاءت زيادته؟
فقال: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١﴾﴾. وقال: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿٢﴾﴾.

ولو كان كله واحداً لازيادة فيه ولا نقصان لم يكن لاحد منهم فضل على الآخر ولا استوتت النعم فيه، ولا ستوى الناس، وبطل التفضيل ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله، وبالنقصان دخل المفرطون النار.

(١) سورة التوبة/ الآيات ١٢٤-١٢٦.

(٢) سورة الكهف/ الآية ١٣.

حديث قدسي في صلاح العباد

روى الكليني في الكافي ج ٢: ٦٠، عن محمد بن يحيى، عن أحمد ابن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن داود الرقي، عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ﻋَزَّوَجَلَّ إِنَّ من عبادي المؤمنين عبادة لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى، والسعة، والصحة في البدن، فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن، فيصلح عليهم أمر دينهم، وإن من عبادي المؤمنين لعبادة لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالفاقة، والمسكنة، والسقم في أبدانهم، فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم فيصلح عليهم أمر دينهم، وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين وإن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي، فيقوم من رقاذه ولذيذ وساده فيتهجد لي الليالي فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً مني له، وإبقاءً عليه، فينام حتى يصبح فيقوم وهو ماقت لنفسه، زارئ عليها، ولو أُخْلِى بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العُجب من ذلك، فيُصَيِّرُهُ العُجب إلى الفتنة بأعماله، فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه، لعُجبه بأعماله، ورضاه عن نفسه، حتى يظن أنه قد فاق العابدين، وجاز في عبادته حد التقصير، فيتباعد مني عند ذلك، وهو يظن أنه يتقرب إلي، فلا يتكلم العاملون على أعمالهم

التي يعملونها لثوابي، فإنهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم وأفنوا أعمارهم في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي، والنعيم في جناتي، ورفيع درجاتي العلى في جواربي، ولكن فبرحمتي فليثقوا، وبفضلي فليفرحوا، وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا، فإن رحمتي عند ذلك تداركهم، ومنّي يبلغهم رضواني، ومغفرتي تلبسهم عفوي، فإني أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسمّيتُ.

حديث الإمام الصادق (عليه السلام) في إثبات الصانع

روى الطبرسي في الاحتجاج ج ٢: ٦٩، وعنه المجلسي في البحار ج ٣: ٢٩ قال:

رُوي عن هشام بن الحكم أنه قال: من سؤال الزنديق الذي أتى أبا عبدالله عليه السلام أن قال: ما الدليل على صانع العالم؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: وجود الأفاعيل التي دلت على أن صانعها صنعها، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مُشيد مبني علمت أن له بانياً وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده.
قال: فما هو؟

قال: وهو شيء بخلاف الأشياء، أرجع بقولي: شيء إلى إثباته وأنه شيء بحقيقة الشيئية، غير أنه لا جسم، ولا صورة، ولا يُحس، ولا يُدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصه الدهور، ولا يغيره الزمان.

قال السائل: فإننا لم نجد موهوماً إلا مخلوقاً.

قال أبو عبدالله عليه السلام: لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد منا مرتفعاً، لأننا لم نُكَلَّف أن نعتقد غير موهوم، لكننا نقول: كل موهوم بالحواس مدرك بها تحده الحواس ممثلاً، فهو مخلوق، ولا بد من إثبات

كون صانع الأشياء خارجاً من الجهتين المذمومتين: إحداهما النفي إذا كان النفي هو الإبطال والعدم، والجهة الثانية التشبيه بصفة المخلوق الظاهر في التركيب والتأليف، فلم يكن بدّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعين، والاضطرار منهم إليه أنهم مصنوعون، وأن صانعهم غيرهم وليس مثلهم، إذ (إن) كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد أن لم يكونوا، وتنقلهم من صغر إلى كبر، وسواد إلى بياض، وقوة إلى ضعف، وأحوال موجودة لاحاجة بنا إلى تفسيرها لثباتها ووجودها.

قال السائل: فأنت حدّدته إذا ثبتّ وجوده!

قال أبو عبد الله عليه السلام: لم أحده ولكني أثبتّه إذ لم يكن بين الإثبات والنفي منزلة.

قال السائل: فقله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١).

قال أبو عبد الله عليه السلام: بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مستولٍ على العرش بائن من خلقه، من غير أن يكون العرش حاملاً له، ولا أنّ العرش محلّ له، لكنّا نقول: هو حامل للعرش وممسك للعرش، ونقول في ذلك: ما قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٢) فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبتته، ونفينا أن يكون العرش والكرسيّ حاوياً له، وأن يكون عزّزاً محتاجاً إلى مكان أو إلى شيء مما خلق، بل خلقه محتاجون إليه.

قال السائل: فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟

(١) سورة طه/ الآية ٥/.

(٢) سورة البقرة/ الآية ٢٥٥/.

قال أبو عبد الله عليه السلام : ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواء، ولكنه عزَّه أمر أوليائه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش لأنه جعله معدن الرزق، فثبتنا ما ثبتته القرآن والأخبار عن الرسول ﷺ حين قال: ارفعوا أيديكم إلى الله عزَّه، وهذا تُجمع عليه فرق الأمة كلّها.

حديث المذهب الصحيح في التوحيد

روى الصدوق - رَحِمَهُ اللهُ - في التوحيد ص ١٠٢، قال:
 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ رَحِمَهُ اللهُ، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
 ابْنُ الْحُسَيْنِ الصَّفَّارُ، قال: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مَعْرُوفٍ، قال: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي
 نَجْرَانَ، عَنْ حَمَادِ بْنِ عَثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ، قال: كَتَبْتُ عَلَى
 يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعِينٍ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَسَائِلَ فِيهَا:
 أَخْبِرْنِي عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ يُوصَفُ بِالصُّورَةِ وَبِالتَّخْطِيطِ؟ فَإِنْ رَأَيْتَ
 - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ - أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ بِالْمَذْهَبِ الصَّحِيحِ مِنَ التَّوْحِيدِ.
 فَكُتِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعِينٍ: سَأَلْتُ - رَحِمَكَ اللَّهُ - عَنْ
 التَّوْحِيدِ وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِكَ، فَتَعَالَى اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُصِفُهُ الْوَاصِفُونَ الْمُشَبِّهُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ
 وَتَعَالَى بِخَلْقِهِ الْمَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ.

واعلم - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ فِي التَّوْحِيدِ مَانِزِلٌ بِهِ
 الْقُرْآنُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَانْفِ عَنِ اللَّهِ الْبَطْلَانَ وَالتَّشْبِيهَ، فَلَا نَفِي وَلَا
 تَشْبِيهَ، هُوَ اللَّهُ الثَّابِتُ الْمَوْجُودُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُصِفُهُ الْوَاصِفُونَ، وَلَا تَعُدُّ
 الْقُرْآنُ فَتَضَلَّ بَعْدَ الْبَيَانِ^(١).

خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخليفة

ذكر عليه السلام في هذه الخطبة ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم والأنبياء، ونحن نورد منها ما يخص التوحيد الذي استدل به شيخنا الوالد - قدس سره - في بحثه، قال عليه السلام :

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بُعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود ولا أجل ممدود. فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه.

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزّاه، ومن جزّاه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال: (فيم؟) فقد ضمّنه، ومن قال: (علام؟) فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى

الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده.

أنشأ الخلق إنشاءً، وإبتدأه ابتداءً، بلارويّة أجالها، ولاتجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، غرّز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها، ثم أنشأ - سبحانه - فتق الأجواء وشق الأرجاء، وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تيّارُهُ، متراكماً زخّارُهُ، حملة على متن الريح العاصفة والزعرع القاصفة فأمرها برده، وسلّطها على شدّه، وقرنها إلى حدّه، الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق، ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مُربّها، وأدام مربّها، وأعصف مجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزّخّار وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفتها بالفضاء ترّدّ أوله إلى آخره، وساجيه إلى مائره، حتى عَبَّ عُبَابُهُ، ورمى بالزبد رُكامه، فرفعه في هواء مُنْفَتِق، وجوّ مُنْفَتِق، فسوّى منه سبع سماوات، جعل سُفْلَاهُنَّ موجاً مكفوفاً، وُعْلِيَاهُنَّ سقفاً محفوظاً، وسَمَكاً مرفوعاً، بغير عمد يدعمها، ولادسار ينظمها، ثم زيّنها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمرأ منيراً في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر.

ثم فتق ما بين السماوات العلّا، فملائهنّ أطواراً من ملائكته منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافون لا يتزايلون، ومُسَبِّحون لا يسأمون، لا يغشاهم نوم العين، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان، ومنهم أمناء على وحيه، وألسنة إلى رسله ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده، والسدنة لأبواب جنانه ومنهم

الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسة دونه أبصارهم، متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة، وأستار القدرة، لا يتوهمون ربهم بالتصوير، ولا يُجرون عليه صفات المصنوعين، لا يحدّونه بالأماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر^(١).

وفي هذا المعنى حديث للإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام - أخرجه الشيخ الكليني في الكافي ج: ١، ١٤٠، والصدوق في التوحيد ص ٥٦ - قال: حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق - رحمته الله - قال: حدّثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفي، قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل البرمكي قال: حدّثني علي بن العباس، قال: حدّثني جعفر بن محمد الأشعري، عن فتح بن يزيد الجرجاني، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد فكتب إلي بخطه - قال جعفر: وإنّ فتحاً أخرج إليّ الكتاب فقرأته بخط أبي الحسن عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الملهم عباده الحمد، وفاطرهم على معرفة ربوبيته، الدال على وجوده بخلقه، وبحدوث خلقه على أزاله، وبأشباههم على أن لا شبه له، المستشهد آياته على قدرته، الممتنع من الصفات ذاته، ومن الأبصار رؤيته، ومن الأوهام الإحاطة به، لا أمد لكونه، ولا غاية لبقائه، لا يشمل المشاعر، ولا يحجب الحجاب، فالحجاب بينه وبين خلقه، لا متناعه مما يمكن في ذواتهم، ولإمكان ذواتهم مما يمتنع منه ذاته، ولافتراق الصانع والمصنوع، والرب والمربوب، والحادّ والمحدود، أحد لا يتأويل عدد، الخالق لا بمعنى

حركة، السميع لا بأداة، البصير لا بتفريق آلة، الشاهد لا بمماسّة، البائن لا ببَرَاح مسافة، الباطن لا باجتنان، الظاهر لا بُمحاذٍ، الذي قد حُسِرَت دون كنهه نواقِد الأبصار، وامتنع وجوده جوائل الأوهام.

أول الديانة معرفته، وكمال المعرفة توحيده، وكمال التوحيد نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة، وشهادتهما جميعاً على أنفسهما بالبيّنة الممتنع منها الأزل، فمن وصف الله فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزلّه، ومن قال: كيف فقد استوصفه، ومن قال: علام فقد حمّله، ومن قال: أين فقد أخلى منه، ومن قال: إلّام فقد وقّته، عالِمٌ إذ لا معلوم وخالقٌ إذ لا مخلوق، وربٌّ إذ لا مربوب، وإله إذ لا مألوه، وكذلك يوصف ربُّنا، وهو فوق ما يصفه الواصفون.

احتجاج الإمام الرضا (عليه السلام) في التوحيد

روى الصدوق في التوحيد ص ٢٥٠ قال:

حدثنا محمد بن علي ما جيلويه - رضي الله عنه - عن عمه محمد بن أبي القاسم، قال: حدثني أبو سمينه محمد بن علي الصيرفي، عن محمد ابن عبدالله الخراساني خادم الرضا عليه السلام، قال: دخل رجل من الزنادقة على الرضا عليه السلام وعنده جماعة، فقال له أبو الحسن عليه السلام: أيها الرجل رأيت إن كان القول قولكم - وليس هو كما تقولون - ألسنا وإياكم شرعاً سواء، ولا يضرنا ما صلينا وضمنا وزكينا وأقررنا؟ فسكت.

فقال أبو الحسن عليه السلام: وإن يكن القول قولنا - وهو كما نقول - أستم قد هلكتم ونجونا؟

فقال: رحمك الله فأوجدني كيف هو، وأين هو؟

قال: ويلك! إن الذي ذهبت إليه غلط، هو أينَ الأين وكان ولا أين، وهو كيف الكيف وكان ولا كيف، ولا يُعرف بكيفوفية ولا بأينونية ولا يُدرك بحاسة ولا يقاس بشيء.

قال الرجل: فإذا، إنه لا شيء إذ لم يدرك بحاسة من الحواس.

فقال أبو الحسن عليه السلام: ويلك! لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته، ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنا أنه ربنا خلاف

الأشياء.

قال الرجل: فأخبرني متى كان؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبرني متى لم يكن فأخبرك متى كان.

قال الرجل: فما الدليل عليه؟

قال أبو الحسن عليه السلام: إني لما نظرت إلى جسدي فلم يمكّني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول ودفع المكاره عنه وجرّ المنفعة إليه علمت أن لهذا البنيان بانياً فأقررت به، مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته، وإنشاء السحاب، وتصريف الرياح، ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات، علمت أن لهذا مقدراً ومنشأً.

قال الرجل: فلم احتجب؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الاحتجاب عن الخلق لكثرة ذنوبهم، فأما هو فلا يخفى عليه خافية في آناء الليل والنهار.

قال: فلم لا تدركه حاسة البصر؟

قال: للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الإبصار منهم ومن غيرهم، ثم هو أجلّ من أن يدركه بصر أو يحيط به وهم، أو يضبطه عقل.

قال: فحدّه لي.

قال: لا حدّ له.

قال: ولم؟

قال: لأن كلّ محدود متناهٍ إلى حدّ، وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، فهو غير محدود، ولا متزايد ولا متناقص، ولا متجزئ، ولا متوهم.

قال الرجل: فأخبرني عن قولكم: إنه لطيف، سميع، بصير، عليم، حكيم، أيكون السميع إلا بالأذن، والبصير إلا بالعين، واللطيف إلا بعمل اليدين، والحكيم إلا بالصنعة؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: إن اللطيف منّا على حدّ اتخاذ الصنعة، أوما رأيت الرجل منا يتخذ شيئاً يلطف في اتخاذه فيقال: ما ألطف فلاناً، فكيف لا يقال للخالق الجليل: لطيف إذ خلق خلقاً لطيفاً وجليلاً وركب في الحيوان أرواحاً، وخلق كل جنس متبائناً عن جنسه في الصورة لا يشبه بعضه بعضاً، فكلُّ له لطيف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب صورته، ثم نظرنا إلى الأشجار وحملها أطائبها المأكولة منها وغير المأكولة فقلنا عند ذلك: إن خالقنا لطيف لا كلطف خلقه في صنعتهم، وقلنا: إنه سميع لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى من الذرة إلى أكبر منها، في برّها وبحرها، ولا تشبه عليه لغاتها، فقلنا عند ذلك: إنه سميع لا بأذن، وقلنا: إنه بصير لا ببصر، لأنه يرى أثر الذرة السحماء في الليلة الظلماء، على الصخرة السوداء، ويرى دبيب النمل في الليلة الدجيّة، ويرى مضارّها، ومنافعها، وأثر سفادها، وفراخها، ونسلها، فقلنا عند ذلك إنه بصير لا كبصر خلقه.

قال: فما برح حتى أسلم.

صفات الله في حديث الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)

روى الشيخ الصدوق في التوحيد ص ٧٦ قال:

حدّثنا أبي، وعبد الواحد بن محمد بن عبدوس العطار رحمهما الله، قالوا: حدّثنا علي بن محمد بن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن محمد ابن أبي عمير، قال: دخلت على سيدي موسى بن جعفر عليه السلام، فقلت له: يا بن رسول الله علّمني التوحيد فقال: يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك، واعلم أن الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريكاً، وإنه الحي الذي لا يموت، والقادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا يُغلب، والحليم الذي لا يعجل، والدائم الذي لا يبيد، والباقي الذي لا يفنى، والثابت الذي لا يزول، والغني الذي لا يفتقر، والعزيز الذي لا يذل، والعالم الذي لا يجهل، والعدل الذي لا يجور، والجواد الذي لا يبخل، وإنه لا تقدره العقول ولا تقع عليه الأوهام، ولا تحيط به الأقطار، ولا يحويه مكان، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير:

﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنْشِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ وهو الأول الذي لا شيء قبله، والآخر الذي لا شيء بعده، وهو القديم، وما سواه مخلوق محدث، تعالى عن صفات المخلوقين علواً كبيراً.

وروى المجلسي في البحار ج ٣: ٢٦٢ عن فقه الرضا قال: وأروى عن العالم عليه السلام - وسألته عن شيء من الصفات - فقال: لا تتجاوز مما في القرآن.

حديث الإمام الصادق (عليه السلام) في النهي عن وصف الله تعالى بصفة المخلوقين

روى المجلسي في البحار ج ٣: ٢٨٧ قال:

عن علي بن الحسين، عن هارون بن موسى، عن محمد بن همام،
عن الحميري، عن عمر بن علي العبدى، عن داود بن كثير الرقي، عن
يونس بن ظبيان قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت:
يا بن رسول الله إني دخلت على مالك وأصحابه فسمعت بعضهم يقول:
إن لله وجهاً كالوجوه، وبعضهم يقول: له يدان! واحتجوا لذلك بقول الله
تبارك وتعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدْنِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ
كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(١).

وبعضهم يقول: هو كالشباب من أبناء ثلاثين سنة! فما عندك في
هذا يا ابن رسول الله؟ قال: - وكان متكئاً فاستوى جالساً - وقال: اللهم
عفوك عفوك. ثم قال: يا يونس! من زعم أن لله وجهاً كالوجوه فقد
أشرك، ومن زعم أن لله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله، فلا
تقبلوا شهادته، ولا تأكلوا ذبيحته، تعالى الله عما يصفه المشبهون بصفة

المخلوقين، فوجه الله أنبيأؤه وأولياؤه^(١) وقوله ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتُ﴾^(٢) اليد: القدرة، كقوله: ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾^(٣) فمن زعم أن الله في شيء، أو على شيء، أو يحول من شيء إلى شيء، أو يخلو منه شيء، أو يشتغل به شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين، والله خالق كل شيء لا يقاس بالقياس، ولا يشبه الناس، لا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، قريب في بعده، بعيد في قربه، ذلك الله ربنا لا إله غيره، فمن أراد الله وأحبه بهذه الصفة فهو من الموحدين، ومن أحبه بغير هذه الصفة فالله منه بريء ونحن منه برآء.

(١) لأن المولى يخاطب العباد ويواجههم بهم ﷺ، والعباد يتوجهون إلى الله تعالى بهم.
(٢) سورة الأنفال / الآية ٢٦.

علم الله في أحاديث المعصومين (عليهم السلام)

محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: كان الله بِرُؤُوسِهِ ولا شيء غيره ولم يزل عالماً بما يكون، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه.

أصول الكافي ج ١: ١٠٧

محمد بن يحيى، عن سعد بن عبدالله، عن محمد بن عيسى، عن أيوب بن نوح أنه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله بِرُؤُوسِهِ أكان يعلم الأشياء قبل ما خلق عند ما خلق وما كَوَّن عند ما كَوَّن؟ فوقَّ بخطه: لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعدما خلق الأشياء.

روى الشيخ الصدوق في التوحيد ص ١٣٤، قال:

أبي عليه السلام، قال حدثنا سعد بن عبدالله، عن إبراهيم بن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن حازم، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قلت له: أرايت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس كان في علم الله؟ قال: فقال: بلى قبل أن يخلق السماوات والأرض.

وعنه في التوحيد ص ١٣٥، قال:

حدثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رحمته الله عن أبيه، عن محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، عن علي بن إسماعيل وإبراهيم بن هاشم جميعاً، عن صفوان بن يحيى، عن منصور بن حازم، قال: سألته - يعني أبا عبد الله عليه السلام - هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله عز وجل قال: لا، بل كان في علمه قبل أن ينشئ السماوات والأرض.

وعنه - أيضاً - في التوحيد ص ١٣٦، قال:

حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، قال: حدثنا أحمد بن الفضل بن المغيرة، قال: حدثنا أبو نصر منصور بن عبد الله بن إبراهيم الأصفهاني قال: حدثنا علي بن عبد الله، قال: حدثنا الحسين بن بشار، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: سألته أيعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟ أو لا يعلم إلا ما يكون؟.

فقال: إن الله تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء، قال الله عز وجل:

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١)

وقال لأهل النار: ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٢) فقد

علم الله عز وجل أنه لو ردّهم لعادوا لما نُهوا عنه.

وقال للملائكة لما قالوا: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)

فلم يزل الله عز وجل علمه سابقاً للأشياء قديماً قبل أن يخلقها، فتبارك

ربنا وتعالى علواً كبيراً، خلق الأشياء وعلمه بها سابق لها لما شاء، كذلك

لم يزل ربنا عليماً سميعاً بصيراً.

(١) سورة الجاثية / الآية ٢٩ / .

(٢) سورة الأنعام / الآية ٢٨ / .

(٣) سورة البقرة / الآية ٣٠ / .

وعنه - أيضاً - في التوحيد ص ١٣٦، قال:

عن علي بن عبد الله، قال: حدثنا صفوان بن يحيى، عن عبد الله بن مسكان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان، أم علمه عندما خلقه وبعدهما خلقه؟ فقال: تعالى الله، بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعدما كونه وكذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان.

ثم قال الشيخ الصدوق:

من الدليل على أن الله تبارك وتعالى عالم أن الأفعال المختلفة التقدير، المتضادة التدبير، المتفاوتة الصفة، لاتقع على ما ينبغي أن يكون عليه من الحكمة ممن لا يعلمها، ولا يستمرّ على منهاج منتظم ممن يجهلها، ألا ترى أنه لا يصوغ قرطاً يُحكم صنعته، ويضع كلاً من دقيقه وجليله موضعه من لا يعرف الصياغة، ولا أن ينتظم كتابة يتبع كل حرف منها ما قبله من لا يعلم الكتابة، والعالم ألطف صنعة وأبدع تقريراً مما وصفناه فوقوعه من غير عالم بكيفيته قبل وجوده أبعد وأشد استحالة.

نفي التشبيه في حديث الإمام الرضا (عليه السلام)

روى الشيخ الصدوق في التوحيد ص ٦٠، قال:
 حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق - رَحِمَهُ اللهُ - قال:
 حدثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل
 البرمكي، قال: حدثنا الحسين بن الحسن بن بردة، قال: حدثني العباس
 ابن عمرو الفقمي، عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد العلوي، عن يزيد
 الجرجاني، قال: لقيته عَلَيْهِ السَّلَامُ على الطريق عند منصرفي من مكة إلى
 خراسان وهو سائر إلى العراق فسمعتة يقول: من اتقى الله يُتَّقَى، ومن
 أطاع الله يُطَاع.

فتلطف في الوصول إليه فوصلت فسلمت فردَّ عليَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم
 قال: يافتح من أرضي الخالق لم يبال بسخط المخلوق، ومن أسخط
 الخالق فضمن أن يُسَلِّطَ عليه سخط المخلوق، وإن الخالق لا يوصف
 إلا بما وُصف به نفسه، وأناى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه،
 والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدَّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلَّ
 عمَّا وصفه الواصفون، وتعالى عما ينعتة الناعتون، نأى في قربه، وقرب
 في نأيه، فهو في بعده قريب، وفي قربه بعيد، كَيْفَ الكيف فلا يقال له:
 كيف، وأَيْنَ الأين فلا يقال له: أين، إذ هو مبدع الكيفوفية والأينونية.

يفتح كل جسم مغذّي بغذاء إلا الخالق الرزّاق، فإنه جسّم الأجسام، وهو ليس بجسم ولا صورة، لم يتجزأ، ولم يتناه، ولم يتزايد ولم يتناقص، مُبرّأ من ذات ما ركّب في ذات من جسّمه وهو اللطيف الخبير، السميع البصير، الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، منشئ الأشياء ومجسّم الأجسام ومصوّر الصور، لو كان كما يقول المشبهة لم يُعرف الخالق من المخلوق، ولا الرازق من المرزوق، ولا المنشئ من المنشأ، لكنه المنشئ، فرق بين من جسّمه وصوّره، وشيأ وبينه إذ كان لا يشبهه شيء.

قلت: فالله واحد والإنسان واحد، فليس قد تشابهت الوحدانية؟ فقال: أحلت ثبّتك الله، إنما التشبيه في المعاني، فأما في الأسماء فهي واحدة وهي دلالة على المسمى، وذلك أن الإنسان وإن قيل واحد فإنه يخبر أنه جثّة واحدة وليس باثنين، والإنسان نفسه ليس بواحد، لأن أعضائه مختلفة، وألوانه مختلفة غير واحدة، وهو أجزاء مجزأة ليس سواء، دمه غير لحمه، ولحمه غير دمه، وعَصَبه غير عروقه، وشعره غير بشره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر جميع الخلق، فالإنسان واحد في الاسم، لا واحد في المعنى، والله جل جلاله واحد لا واحد غيره، ولا اختلاف فيه، ولا تفاوت، ولا زيادة، ولانقصان، فأما الإنسان المخلوق المصنوع المؤلّف، فمن أجزاء مختلفة، وجواهر شتى، غير أنه بالاجتماع شيء واحد.

قلت: فقولك: اللطيف فسّره لي، فإني أعلم أن لطفه خلاف لطف غيره للفصل، غير أنني أحب أن تشرح لي.

فقال: يفتح إنما قلت: اللطيف للخلق اللطيف، ولعلمه بالشيء اللطيف، ألا ترى إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف، وفي

الخلق اللطيف من أجسام الحيوان من الجرجس، والبعض، وما هو أصغر منهما، مما لا يكاد تستبينه العيون، بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثى، والمولود من القديم، فلما رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد، والهرب من الموت، والجمع لما يصلحه بما في لجج البحار، وما في لحاء الأشجار، والمفاوز، والقفار، وإفهام بعضها عن بعض منطقها، وما تُفهم به أولادها عنها، ونقلها الغذاء إليها، ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرة، وبياض مع حمرة، علمنا أن خالق هذا الخلق لطيف، وأنَّ كلَّ صانع شيء فمن أيِّ شيء صنع، والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شيء.

قلت: جعلت فداك وغير الخالق الجليل خالق؟ قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١) فقد أخبر أن في عباده خالقين، منهم عيسى بن مريم، خَلَقَ من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طائراً بإذن الله، والسامريُّ خَلَقَ لهم عجلاً جسداً له خوار، قلت: إنَّ عيسى خلق من الطين طيراً دليلاً على نبوته، والسامري خلق عجلاً لنقض نبوة موسى عليه السلام وشاء الله أن يكون ذلك كذلك؟ وإن هذا لهو العجب.

فقال: ويحك يافتح إن الله إرادتين ومشيتين: إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أو مارأيت أنه نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك، ولو لم يشأ لم يأكلا، ولو أكلا لغلبت مشيتها مشية الله، وأمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، وشاء أن لا يذبحه، ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشية إبراهيم مشية الله تعالى.

(١) سورة المؤمنون / الآية ١٤ / .

قلت: فَرَجَّتْ عني فَرَجَ الله عنك، غير أنك قلت: السميع البصير، سميع بالأذن، وبصير بالعين؟

فقال: إنه يسمع بما يبصر، ويرى بما يسمع، بصير لا بعين مثل عين المخلوقين، وسميع لا مثل سمع السامعين، لكن لما لم يخفَ عليه خافية من أثر الذرَّة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء تحت الثرى والبحار، قلنا: بصير، لا بمثل عين المخلوقين، ولما لم يشبهه عليه ضروب اللغات ولم يشغله سمع عن سمع قلنا: سميع، لا بمثل سمع السامعين.

قلت: جعلت فداك قد بقيت مسألة.

قال: هات لله أبوك.

قلت: يعلم القديم، الشيء الذي لم يكن ان لو كان كيف كان يكون؟ قال: ويحك! إن مسائلك لصعبة، أما سمعت الله يقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١)

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٢)

وقال تعالى يحكي قول أهل النار: ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾^(٣)

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٤)

فقد علم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون.

فقمْتُ لأقبُلُ يده ورجله، فأدنى رأسه فقبَّلْتُ وجهه ورأسه، وخرجت وبني من السرور والفرح ما أعجز عن وصفه لما تبَيَّنْتُ من الخير والحظ.

(١) سورة الأنبياء / الآية ٢٢ / .

(٢) سورة المؤمنون / الآية ٩١ / .

(٣) سورة فاطر / الآية ٣٧ / .

(٤) سورة الأنعام / الآية ٢٨ / .

بيان في الإرادة والمشية

أورد الشيخ المجلسي - رَحِمَهُ اللهُ - في مرآة العقول ج: ١ ص ١٥٥ وجوهاً في معنى الإرادة والمشية، تفصيلاً لما ذكره شيخنا الوالد الأمين - طاب ثراه - وخلاصتها:

١. أن يقال: المراد بالمشية العلم، ويؤيده ما في كتاب فقه الرضا حيث قال عليه السلام: قد شاء الله من عباده المعصية وما أراد وشاء الطاعة وأراد منهم، لأن المشية مشية الأمر ومشية العلم، وإرادته إرادة الرضا، وإرادة الأمر أمر بالطاعة ورضاً بها، وشاء المعصية يعني: علم من عباده المعصية ولم يأمرهم بها.. الخبر.

٢. أن يقال: المراد بـمشية الطاعة هداياته وألطافه الخاصة التي ليست من ضروريات التكليف وبـمشيته المعصية خذلانه وعدم فعل تلك الألفاظ بالنسبة إليه، وشيء منهما لا يوجب جبره على الفعل والترك ولا ينافي استحقاق الثواب والعقاب.

٣. ما قيل: أنَّ المراد تهيئة أسباب فعل العبد بعد إرادة العبد ذلك الفعل.

٤. أن يقال: لما اقتضت المصلحة تكليف من علم الله منه المعصية وكلفه مع علمه بذلك ووكله إلى اختياره ففعل تلك المعصية فكأنه شاء

صدوره منه ، وكذا في الطاعة إذا علم عدم صدورها منه فسمي ذلك مشية مجازاً ، وهذا مجاز شائع كما إذا أمر المولى عبده بأوامر ، وخيَّره في ذلك ومكَّنه على الفعل والترك مع علمه بأنه لا يأتي بها فيقال له: أنت فعلت ذلك إذ كنت تعلم أنه لا يفعل ومكَّنته ووكلته إلى نفسه.

٥. أن يقال: المراد بمشيته عدم جبره على فعل الطاعة أو ترك المعصية ، وبعبارة أخرى سمي عدم المشية مشية العدم.. وهذا قريب من الوجه السابق بل يرجع إليه.

٦. إنه إسناد للفعل إلى العلة البعيدة ، فإن العبد وقدرته وإراداته لما كانت مخلوقة لله تعالى فهو جلّ وعلا علة بعيدة لجميع أفعاله.

٧. ما أومأنا إليه في الخبر السابق من المشية بالتبع ، وربما يحقق بوجه أوضح حيث حقق بعضهم الأمر بين الأمرين أنّ فعلَ العبد واقع بمجموع القدرتين: قدرة الله وقدره العبد ، والعبد لا يستقل في إيجاد فعله بحيث لا دخل لقدرة الله تعالى فيه ، بمعنى أنه أقدر العبد على فعله بحيث يخرج عن يده أزمة الفعل المقدور للعبيد مطلقاً كما ذهب إليه المُفَوِّضَة ، أو لاتأثير لقدرته فيه وإن كان قادراً على طاعة العاصي جبراً لعدم تعلّق إرادته بجبره في أفعاله الاختيارية ، كما ذهب إليه المعتزلة. وهذا أيضاً نحو من التفويض ، وليس قدرة العبد بحيث لا تأثير له في فعله أصلاً ، سواء كانت كاسبة كما ذهب إليه الأشعري ، ويؤول مذهبه إلى الجبر ، أم لا تكون كاسبة أيضاً بمعنى: أن لا تكون له قدرة واختيار أصلاً بحيث لا يكون فرق بين مشي زيد وحركة المرتعش كما ذهب إليه الجبرية ، وهم جهم بن صفوان ومن تبعه ، فهذا معنى الأمر بين الأمرين. ولما كان مشية العبد وإرادته وتأثيره في فعله جزءاً أخيراً للعلّة التامة.

وإنما يكون تحقق الفعل والترك مع وجود ذلك التأثير وعدمه فينتفي

صدور القبيح عنه تعالى، بل إنما يتحقق بالمشيئة والإرادة الحادثة وبالتأثير من العبد الذي هو متمم للعلة التامة، ومع عدم تأثير العبد والكف عنه بإرادته واختياره لا يتحقق فعله بمجرد مشيئة الله سبحانه وإرادته وقدرته، إذ لم يتحقق مشيئة وإرادة وتعلق إرادة منه تعالى بذلك الفعل مجرداً عن تأثير العبد فحينئذ الفعل لا سيما القبيح مستنداً إلى العبد.

ولما كان مراده تعالى من إقداره العبد في فعله، وتمكينه له فيه صدور الأفعال عنه باختياره وإرادته، إذا لم يكن مانع أي فعل أراد واختار من الإيمان والكفر والطاعة والمعصية ولم يرد منه خصوص شيء من الطاعة والمعصية ولم يرد جبره في أفعاله، ليصح تكليفه لأجل المصلحة المقتضية له، وكلفه بعد ذلك الإقدار بإعلامه بمصالح أفعاله ومفاسده في صورة الأمر والنهي لأنهما منه تعالى من قبيل أمر الطبيب للمريض بشرب الدواء النافع ونهيه عن أكل الغذاء الضار، فمن صدور الكفر والإيمان والعصيان عن العبد بإرادته المؤثرة، واستحقاقه بذلك العقاب لا يلزم أن يكون العبد غالباً عليه تعالى ولا يلزم عجزه تعالى، كما لا يلزم غلبة المريض على الطبيب، ولا عجز الطبيب إذا خالفه المريض وهلك، ولا يلزم أن يكون في ملكه أمر لا يكون بمشيئة الله تعالى وإرادته، ولا يلزم الظلم في عقابه لأنه فعل القبيح بإرادته المؤثرة، وطبيعة ذلك الفعل توجب أن يستحق فاعله العقاب.

ولما كان مع ذلك الإعلام من الأمر والنهي بوساطة الحجج عَلَيْهِ السَّلَام اللطف والتوفيق في الخيرات والطاعات من الله جلّ ذكره فما فعل الإنسان من حسنة فالأولى أن يسند وينسب إليه تعالى، لأنه مع إقداره وتمكينه له وتوفيقه للحسنات، أعلمه بمصالح الإتيان بالحسنات ومضار تركها،

والكف عنها بأوامره، وما فعله من سيئة فمن نفسه، لأنه مع ذلك أعلمه بمفاسد الإتيان بالسيئات، ومنافع الكف عنها بنواهي، وهذا من قبيل إطاعة الطبيب ومخالفته، فإنه من أطاعه وبرئ من المرض يقال: عالجه الطبيب، ومن خالف وهلك يقال: أهلك نفسه بمخالفته للطبيب.

فمعنى قوله: «أمر الله ولم يشأ» أنه أعلم العباد وأخبرهم بالأعمال النافعة لهم كالإيمان والطاعة ولم يشأ صدور خصوص تلك الأفعال عنهم، كيف ولو شاء ولم يصدر عن بعضهم لزم عجزه ومغلوبيته، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، بل إنما شاء صدور الأفعال عنهم بقدرتهم واختيارهم أي فعل أرادوه، فما شاء الله كان، ومعنى قوله: «شاء ولم يأمر» أنه شاء صدور الأفعال عن العباد باختيارهم أي فعل أرادوه، ولم يأمر بكل ما أرادوا، بل نهاهم عن بعضه وأعلمهم بمضرته كالكفر والعصيان. فقوله: «أمر إبليس أن يسجد لآدم» أي أعلمه بأن سجوده لآدم نافع له، وكفه عنه ضاراً له، وشاء أن لا يسجد يعني لم يشأ خصوص السجود عنه، ولو شاء خصوص السجود عنه لسجد لاستحالة عجزه وغلبة إبليس عليه، بل إنما شاء صدور أيهما كان من السجود وتركه، أي كفه بإرادته واختياره، ولما لم يسجد إبليس أي كف عن السجود بإرادته فهو تعالى لأجل ذلك شاء كفه.

ولما كان الكف إنما يتحقق بمشيئة إبليس وإرادته المؤثرة، وهي جزء أخير للعلّة التامة فلذا يستحق إبليس الذم والعقاب، والقبیح صادر عنه لا عن الله تعالى، وكذا الكلام في نهى آدم عن أكل الشجرة.

هذا آخر ما وسعني جمعه من أحاديث وأقوال ترتبط ببحوث الكتاب والله أسأل أن يثيب بذلك روح شيخنا الوالد «الأميني» طاب ثراه إنه سميع مجيب الدعاء.

مصادر التحقيق

١. الاحتجاج أحمد بن علي الطبرسي نجف ١٣٨٦هـ
٢. إرشاد القلوب الحسن بن محمد الديلمي بيروت
٣. أصول الكافي محمد بن يعقوب الكليني طهران ١٣٨٨هـ
٤. الأمالي شيخ الطائفة الطوسي نجف ١٣٨٤
٥. أمالي الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي نجف ١٣٨٩
٦. بحار الأنوار المولى محمد باقر المجلسي طهران ١٣٨٨
٧. البرهان السيد هاشم الحسيني البحراني قم ١٣٩٣
٨. بصائر الدرجات محمد بن الحسن الصفار تبريز ١٣٨٠
٩. التبيان شيخ الطائفة الطوسي نجف ١٣٨٢
١٠. تفسير الخازن علي بن محمد البغدادي القاهرة ١٣٢٨
١١. تفسير الصافي الفيض الكاشاني طهران ١٣٧٥
١٢. تفسير العسكري الإمام الحسن بن محمد العسكري عليه السلام تبريز ١٣١٥
١٣. تفسير العياشي محمد بن مسعود السلمي طهران ١٣٨١
١٤. تفسير فرات الكوفي فرات بن إبراهيم الكوفي نجف

١٥. تفسير القرآن العظيم إسماعيل بن كثير القرشي بيروت ١٣٨٨
١٦. تفسير القمي علي بن إبراهيم القمي نجف ١٣٨٦
١٧. التفسير الكبير محمد بن عمر الفخر الرازي القاهرة
١٨. تفسير نور الثقلين عبد علي بن جمعة الحويزي قم ١٣٨٣
١٩. التوحيد محمد بن علي بن بابويه القمي طهران ١٣٨٧
٢٠. تهذيب الأحكام شيخ الطائفة الطوسي نجف ١٣٧٨
٢١. ثواب الأعمال محمد بن علي بن بابويه القمي طهران ١٣٩١
٢٢. الجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد القرطبي القاهرة ١٣٨٧
٢٣. جامع الأخبار أصفهان ١٣٦٥
٢٤. الخصال محمد بن علي بن بابويه القمي طهران ١٣٨٩
٢٥. الدر المنثور جلال الدين السيوطي مصر ١٣١٤
٢٦. دعوات الراوندي الحسين بن سعيد الراوندي إيران
٢٧. ذخائر العقبى محب الدين الطبري القاهرة ١٣٥٦
٢٨. رجال الكشي محمد بن عمر الكشي إيران
٢٩. سفينة البحار عباس بن محمد رضا القمي طهران
٣٠. الصحيفة السجادية الإمام علي بن الحسين عليه السلام طهران ١٣٣٨
٣١. الصواعق المحرقة أحمد بن حجر مصر ١٣١٢
٣٢. طب الأئمة عبدالله بن سabor نجف ١٣٨٥
٣٣. علل الشرايع محمد بن علي بن بابويه القمي طهران ١٣١١
٣٤. عيون أخبار الرضا محمد بن علي بن بابويه القمي نجف ١٣٩٠
٣٥. غاية المرام السيد هاشم الحسيني البحراني إيران ١٢٧٠
٣٦. الغدير عبد الحسين الأميني النجفي بيروت ١٣٨٧

٣٧. غرر الحكم عبد الواحد الآمدي نجف
٣٨. فرائد السمطين (خ) إبراهيم بن محمد بن المؤيد الحمويه قم نسخة مكتبة آية الله العظمى السيد شهاب الدين النجفي المرعشي العامة
٣٩. فقه الرضا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام تبريز ١٢٧٤
٤٠. الكشف جار الله الزمخشري القاهرة ١٣٨٥
٤١. كفاية الأثر علي بن محمد الخزاز القمي إيران
٤٢. كنز الفوائد محمد بن علي الكراجكي تبريز ١٣٢٢
٤٣. مجمع البيان الفضل بن الحسن الطبرسي بيروت ١٣٧٩
٤٤. المحاسن أحمد بن محمد البرقي طهران ١٣٧٠
٤٥. مسند الإمام الرضا عزيز الله العطاردي طهران ١٣٩٢
٤٦. معاني الأخبار محمد بن علي بن بابويه القمي طهران ١٣٧٩
٤٧. المعجم المفهرس محمد فؤاد عبد الباقي بيروت
٤٨. مكارم الأخلاق رضي الدين الطبرسي القاهرة ١٣٠٥
٤٩. من لا يحضره الفقيه محمد بن علي بن بابويه القمي نجف ١٣٧٧
٥٠. مناقب آل أبي طالب محمد بن علي بن شهر آشوب قم
٥١. المناقب للخوارزمي الموفق بن أحمد المكي نجف ١٣٨٥
٥٢. مناقب علي بن أبي طالب الحافظ ابن المغازلي طهران ١٣٩٤
٥٣. نهج البلاغة الشريف الرضي بيروت ١٣٧٤
٥٤. الوافي الفيض الكاشاني طهران ١٣١١
٥٥. وسائل الشيعة الحر العاملي بيروت ١٣٩١

فهرس الأعلام

- آدم ٣١-٧٢، ١٠٤-١٢٢، ١٢٩-٢١٢، ١٤١-
 ٢١٢، ١٥٢-٢١٢، ١٧٦-٢١٢، ١٨٩-٢١٢،
 ٢٠٦-٢١٢، ٢١٢
 أبا الحسن موسى ٨٠، ٩٩
 أبا بريدة ١٦٠
 أبا عمارة ٨٣
 أبان بن تغلب ١٢٢
 أبو الطفيل ٨٢
 أبو حنيفة ١٧٤
 أبو سعيد ١٦١
 أبو عمرو الزبيري ١٧٦
 أبي أيوب ١٢٦
 أبي الحسن ٧٠، ٣٧، ٥١، ٥٣، ٨٣،
 ٩٨، ١٠٠، ١٣١، ١٧٠، ١٩١، ٢٠٠، ٢٠١
 أبي الحسن الرضا ٧٠، ١٩١
 أبي الحسن العسكري ٥١
 أبي الحسن الماضي ١٧٠
 أبي العباس السراج ١٧٢
 أبي برزة الأسلمي ١٦٣
 أبي بصير ٦٧، ١٣٢، ١٦٦
 أبي بكر الحضرمي ١٢٦
 أبي جعفر ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦،
 ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٤، ١٨٢، ٢٠٠
 أبي جميلة ١٦٧
 أبي حمزة الثمالي ١٦٣، ١٦٧
 أبي سعيد الخدري ٤٤
 أبي علي ١٦٩
 أبي مالك الأسدي ١٦٥
 أبي هاشم ٨٣
 أحمد بن الفضل ٢٠١
 أحمد بن علي بن إبراهيم ١٦٠
 أحمد بن محمد ١٢٢، ١٣٢، ١٧٢،
 ١٧٤، ١٧٥، ١٨٢، ١٩١، ٢٠٣، ٢١٥
 أحمد بن محمد بن خالد ١٧٤، ١٧٥

أحمد بن محمد بن عيسى ١٢٢، ١٧٥،	إسماعيل بن علي ١٦٩
١٨٢	إسماعيل بن مرار ٩٨
أحمد بن يونس ٢٧	إسماعيل بن مهران ١٣٠
أسباط ١٦١، ١٦٧	ابن أبي الحديد ٧٨
أصبغ بن نباته ١٦١	ابن أبي عمير ١٧٢، ٢٠٠
ألوان بن محمد ١٦٢	ابن أبي نجران ١٨٧
أمير المؤمنين ١٢٧، ١٣٤، ١٨٩، ١٣٦،	ابن أذينة ٣٧
١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٧،	ابن الأنباري ١٢٩
١٤٨، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠،	ابن المغازلي ٢١٥
١٥٩، ١٦٠، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣،	ابن بابويه ١٦٠، ١٦٢
١٧٥، ١٥٧، ١٥٩	ابن شهر آشوب ١٥٩، ١٦٣، ١٦٨، ١٧١
أيوب بن نوح ٢٠٠	ابن عباس ١٤، ٦٩، ٣٦، ٨٢
إبراهيم ١٣٠، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤،	ابن عدي ١٦١
١٦٥، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦، ٢٠٠، ٢٠١،	ابن عيسى ١٦٢
٢٠٣، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٥	ابن قيس الماصر ١٧٤
إبراهيم الثقفي ١٦٣	ابن محبوب ١٧٠، ١٨٢
إبراهيم بن حميد ٨٣	ابن مسعود ١٤، ١٦٠
إبراهيم بن شريك ٢٧	ابن معروف ١٦٢
إبراهيم بن محمد ١٦٩، ٢٠٣، ٢١٥	الباقر ١٣٦، ١٤٠، ١٦٢، ١٦٩
إبراهيم بن محمد العلوي ٢٠٣	البرقي ١٦٧، ١٧٣، ١٧٥، ٢١٥
إبراهيم بن هاشم ١٦٢، ٢٠٠	الترمذي ١٣٢
إسحاق ١٣١	الثعلبي ١٦٠
إسماعيل ٤٤، ١٣٠، ١٦٩، ١٩١، ٢٠١،	الحسن ٧٠، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١،
٢٠٣، ٢٠٦، ٢١٤	١٣٣، ١٣٩، ١٤٩، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥،
إسماعيل بن أبان ١٣٠	١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٥، ١٨٧، ١٩١، ١٩٣،

الشعبي ٤٤	١٩٤، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢١٥، ٢١٣
الشيرازي ١٦٣	الحسن البصري ١٦٣
الصادق ٢٦، ٥١، ٥٢، ٨٤، ١٠٠، ١٣٤،	الحسن بن عثمان ١٦٧
١٤٩، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٦١، ١٨٤، ١٩٨	الحسن بن محمد بن سماعة ١٧٠
الصدوق ٦٢، ٤٣، ٤٤، ٧٦، ٨٠، ٩٧،	الحسن بن هارون ١٧٥
١٢٧، ١٢٩، ١٧٢، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٦، ٢٠٠،	الحسن بن وهب ١٦٩
٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٣	الحسين بن أحمد بن إدريس ٢٠١
الصفار ١٠٩، ١٦٣، ١٦٧، ١٨٧، ٢١٣	الحسين بن الحسن بن بردة ٢٠٣
الطبرسي ١٨٤، ٢١٣، ٢١٥	الحسين بن بشار ٢٠١
الطوسي ٥١، ١٣٢، ٢١٣، ٢١٤	الحسين بن علي ١٢٧، ١٣٠، ١٥٢
العالم ٧، ١٤٩، ٢١، ٥٢، ٨٠، ١٧٦،	الحسين بن علي بن فضال ١٣٠
١٨٤، ١٩٧، ٢٠١	الحسين بن محمد ٩٥
العباس ١٢٦، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٨٧،	الحسين بن موسى الخشاب ١٣١
١٩١، ٢٠٣	الحسين بن يزيد ١٦٢
العباس بن معروف ١٨٧	الحموي ١٦١
العسكري ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٥١، ١٢٠،	الحميري ١٩٨
١٣٣، ١٥٦، ٢١٣	الخزاز ٨٢
العياشي ٦٤، ٢٥، ٤٤، ٥١، ٨١، ١٠٩،	الخليل بن أحمد ٤٤
١٢٥، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٦٤، ١٦٦، ٢١٤	الخوارزمي ١٦١
الفخر الرازي ٤٢، ٢١٤	الديلمي ٣١، ٢١٣
الفضل بن يحيى ٨٠	الراوندي ١٣١، ٢١٤
الفيض الكاشاني ١٠٥، ٢١٣، ٢١٥	الزهري ٦٤، ١٣٦، ١٣٧
القاسم بن بريد ١٧٦	السجاد ٩٧، ١٠٨
القاسم بن محمد ١٣٢	السدي ١٦١
القرطبي ١٢٩، ١٣٢، ٢١٤	الشريف الرضي ٧٧، ٢١٥

الكاظم ٩٧، ١٢٢	حماد بن عثمان ١٨٧
الكشي ٨٠، ٢١٤	حماد بن عيسى ٩٠، ١٦٠
الكليني ٦٢، ٨٠، ٨٧، ١٦٨، ١٦٩	حمدان بن سليمان ١٠١
١٧٠، ١٧٢، ١٧٥، ١٨٢، ١٩١، ١٨٨، ٢١٣	حمران ١٠٩، ١٦٥
المجلسي ٢٧، ١٥٦، ١٦٣، ١٦٥، ١٨٤	حميد بن زياد ١٧٠
١٩٧، ١٩٨، ٢٠٨، ٢١٣	حنان بن سدير ١٦٢
المغيرة بن محمد ٨٢	داود الرقي ٦٢
المفضل بن عمر ٥٢، ١٦٢	داود بن فرقد ٣٧
النبي ﷺ ١٣٠، ١٣٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٢	رسول الله ١٢٥، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٣١
النضر بن شعيب ١٦٨	١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٦، ١٣٧
اليعقوبي ١٦٢	١٣٨، ١٣٩، ١٩٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥
اليقطيني ٧٧	١٤٤، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢
بكر بن صالح ١٧٦	١٥٣، ١٥٤، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥
بلقيس ١٢٨، ١٤٠	١٥٦، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٢
بني إسرائيل ١٤١	١٧٤، ١٧٥، ١٨٢، ١٩٦
ثابت الثمالي ١٦٢	رشيد بن سعد البصري ١٧٢
جابر بن عبدالله الأنصاري ١٦٩	زيد بن أسلم ٢٧
جابر بن يزيد ١٦٩	زيد بن علي ١٦٦
جبرئيل ٥١، ١٢٥، ١٤٩	زين العابدين ٦٤، ٨١، ١٣٦، ١٤٠
جعفر بن أحمد ١٦٦	سعد ١٠٢، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣
جعفر بن محمد ٤٣، ١٢٧، ١٥١، ١٥٢	٢٠٠
١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٩١، ١٩٨	سعد بن عبدالله ١٦٧، ٢٠٠
جعفر بن محمد الأشعري ١٩١	سعيد بن محمد ١٦٦
جعفر بن محمد الفزاري ١٦٥	سفيان الثوري ١٦١
حفص بن البختري ١٧٢	سلام بن سليمان ٢٧

عبدالله بن يحيى ١٣٤، ١٣٦	سليمان ٢٧، ١٢٨، ١٤٠
عبد الملك بن أعين ١٨٧	سيف بن عمرة ١٢٢
عبد الملك بن عمر ١٢٩	شراحيل بن يزيد ١٧٢
عبد الملك بن مروان ٣٣	شرف الدين النجفي ١٦٤
عبيد الله بن الحلبي ١٦٠	شعيب العقرقوفي ٩٦
عبيد بن زرارة ١٧٤	صالح النيلي ١١٥
علي بن أبي حمزة ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢	صالح بن خالد ١٧٠
علي بن أبي طالب ١٤، ٤٣، ١٥٢، ١٥٣	صباح بن سيابة ١٧٤
١٥٦، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤	صفوان بن يحيى ١١١، ٢٠١، ٢٠٢
١٦٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ٢١٥	صلت بن الحر ١٦٦
علي بن أسباط ١٦٧	عاصم بن حميد ١٠٧
علي بن إبراهيم ٢٦، ١٦٠، ١٦٢، ١٧٢	عبد السلام بن صالح الهروي ١٠١
١٧٤، ٢١٤	عبدالله ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤
علي بن إبراهيم القمي ٢١٤	١٣٣، ١٣٦، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٦
علي بن إبراهيم الهاشمي ٩٩	١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥
علي بن إبراهيم بن هاشم ١٦٢	١٧٦، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩١، ١٩٣
علي بن إسماعيل ٢٠١	٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٤
علي بن الحسن ١٧٠	عبدالله بن الصلت ١٦٠
علي بن الحسين ٣٣، ١٢٧، ١٣٦	عبدالله بن الهيثم ١٦٦
١٥٢، ١٦٧، ١٧١، ١٩٨، ٢١٤	عبدالله بن عامر ١٦٧
علي بن الحكم ١٢٢	عبدالله بن عباس ١٦١
علي بن الزيات ١٧٤	عبدالله بن عمر ١٧٢
علي بن العباس ١٩١	عبدالله بن محمد ١٧٢، ٢٠١
علي بن عبدالله ١٦٩، ١٧١، ٢٠١، ٢٠٢	عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ٢٠١
علي بن محمد ١٢٧، ١٧٣، ١٩٦، ٢١٣	عبدالله بن مسكان ٢٠٢

٢١٥	محمد بن إبراهيم الديلمي ٤٤
علي بن محمد بن قتيبة ١٩٦	محمد بن إسماعيل البرمكي ٢٠٣، ١٩١
علي بن موسى الرضا ١٦٩، ٢٠١، ٢١٥	محمد بن الحسن بن أحمد ١٨٧
علي بن هلال ١٦٩	محمد بن الحسن بن إبراهيم ١٦٢، ١٦٥
علي بن يوسف بن جبير ١٦٤	محمد بن الحسين ١٦٤، ١٦٨، ٢٠٠
عمار بن ياسر ١٥٣	محمد بن الحسين بن إبراهيم ١٦٤
عمران بن موسى ١٦٣	محمد بن العباس ١٦٩، ١٧٠
عمر بن الخطاب ١٥٧، ١٦٧	محمد بن الفضيل ١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٠
عمر بن علي العبدي ١٩٨	محمد بن القاسم المفسر ٤٣، ١٢٧
عمرو بن العاص ١٥٣	محمد بن داود الغنوي ١٧٤
عيسى بن عبدالله العلوي ١٦٢	محمد بن سليمان الديلمي ٩٩
عيسى بن مريم ١٥٨، ٢٠٥	محمد بن سنان ١٦٢، ١٧٣
غياث بن كُلوب ١٣١	محمد بن عبدالله الخراساني ١٩٣
فاطمة ٥١، ١٦٥	محمد بن علي ٣٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٦، ١٥٢، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٩، ١٩٣، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥
فرات بن إبراهيم الكوفي ١٦٢، ٢١٤	محمد بن علي الصيرفي ١٩٣
فضيل بن يسار ١٧٠	محمد بن علي بن الحسين ٣٣، ١٥٢
قتيبة ١٧٢، ١٩٦	محمد بن علي بن محبوب ١٢٦
مجاهد ١٢٩	محمد بن علي ما جيلويه ١٩٣
محمد بن أبي القاسم ١٩٣	محمد بن عيسى ١٢٢، ١٧٥، ١٨٢، ٢٠٠
محمد بن أبي عبدالله الكوفي ١٩١، ٢٠٣	محمد بن مسلم ٨٧، ١٠٧، ١٢٥، ١٢٦، ٢٠٠
محمد بن أبي عمير ٣٧، ١٢٦، ١٧٤	محمد بن موسى البرقي ١٧٣
١٩٦	
محمد بن أحمد ١٣٠، ١٣١، ١٦٠، ١٦٧، ٢١٤، ٢٠١	
محمد بن أحمد بن يحيى ١٣١، ٢٠١	

محمد بن همام ١٦٦، ١٩٨

محمد بن يحيى ١٢٢، ١٣٠، ١٣٢، ١٦٨،

١٧٢، ١٨٢، ٢٠٠

محمد بن يحيى العطار ١٣٠

محمد بن يعقوب ١٣٢، ١٧٠، ٢١٣

محمد ﷺ ١٤، ٣٩، ١٢٩، ١٣٥، ١٤٣،

١٤٥، ١٤٦، ١٥٢

مسعدة بن صدقة ١١٠

مسلم بن حيان ١٦٠

معاوية بن عمار ١٧٤

معلّى بن محمد ١٠٠

منصور بن حازم ٢٠٠، ٢٠١

منصور بن حريز ١٧٠

منصور بن عبدالله ٢٠١

موسى بن عمران ١٤١

ميمون البان ٨٠

هارون ٢٧، ١٦٤، ١٦٧، ١٧٥، ١٩٨

هارون بن موسى ١٩٨

هشام بن الحكم ٨٧، ١٨٤

هشام بن سالم ٢٠٠

هلال بن محمد الحفار ١٦٩

يحيى بن عمران الحلبي ١٧٥

يزيد بن عمير ١١٢

يوسف بن محمد ١٢٧

يونس بن ظبيان ١٩٨

المحتويات

الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي شيخ الحفاظ والمحدثين (قده).....	٧
العلامة الشيخ رضا عبد الحسين الأميني النجفي رَحِمَهُ اللهُ.....	٩
بين يدي الكتاب.....	١٠
الفصل الأول.....	٢٣
تفسير السورة.....	٢٣
أسماء السورة وجامعية السورة للعلوم.....	٢٥
النواحي المشتركة بينها وبين القرآن الكريم.....	٤٠
الشفاء بالفاتحة.....	٤٩
الامل بغير الله.....	٥٣
الرياء والسمعة.....	٥٤
العجب.....	٥٥
الحقد والحسد.....	٥٨
الشح والبخل.....	٦٢
الجبين.....	٦٤
الأمل.....	٦٥

٦٩	الفصل الثاني
٦٩	تحليل السورة
٧١	تحليل السورة
٨١	بيان آخر
٨٧	صفات الذات وصفات الفعل
٨٧	يفرق بين الصفات بأمرين
٨٨	العلم الإجمالي والتفصيلي:
٨٩	المشيئة الأزلية والمحدثة:
١٠٢	المشيئة والإرادة المحدثة
١٠٦	إرادة تكوين وتشريع
١٠٩	إرادة حتم وإرادة اختيار
١١٩	الفصل الثالث
١١٩	تكملة التعليقات
١٢١	التعليقة ١
١٢١	أحاديث «السبع المثاني»
١٢٣	التعليقة ٢
١٢٣	حديث الرسول في شأن فاتحة الكتاب
١٢٥	التعليقة ٣
١٢٥	أحاديث «أم الكتاب»
١٢٧	التعليقة ٤
١٢٧	أحاديث «أم القرآن»
١٢٩	التعليقة ٥
١٢٩	تفسير سورة الفاتحة في حديث الإمام العسكري (عليه السلام).....

التعليقة ٦ ١٥٢

تفسير فاتحة الكتاب في كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ملك
الروم ١٥٢

التعليقة ٧ ١٥٤

«الصراط المستقيم» هو أمير المؤمنين (عليه السلام) ١٥٤
قوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ١٥٤

التعليقة ٨ ١٦٦

مرض القلوب في روايات المعصومين ١٦٦

التعليقة ٩ ١٦٨

أحاديث الإيمان وأثره في الجوارح ١٦٨

التعليقة ١٠ ١٧٦

حديث قدسي في صلاح العباد ١٧٦

التعليقة ١١ ١٧٨

حديث الإمام الصادق (عليه السلام) في إثبات الصانع ١٧٨

التعليقة ١٢ ١٨١

حديث المذهب الصحيح في التوحيد ١٨١

التعليقة ١٣ ١٨٢

خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخليقة ١٨٢

التعليقة ١٤ ١٨٦

احتجاج الإمام الرضا (عليه السلام) في التوحيد ١٨٦

التعليقة ١٥ ١٨٩

صفات الله في حديث الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ١٨٩

التعليقة ١٦ ١٩١

حديث الإمام الصادق (عليه السلام) في النهي عن وصف الله تعالى بصفة

المخلوقين.....	١٩١
التعليقة ١٧.....	١٩٣
علم الله في أحاديث المعصومين (عليهم السلام).....	١٩٣
التعليقة ١٨.....	١٩٦
نفي التشبيه في حديث الإمام الرضا (عليه السلام).....	١٩٦
التعليقة ١٩.....	٢٠٠
بيان في الإرادة والمشية.....	٢٠٠
مصادر التحقيق.....	٢٠٥
فهرس الأعلام.....	٢٠٩